



الأزهر الشريف
قطاع المعاهد الأزهرية

تيسير
تفسير النسفي
جزء عمّ

للصف الأول الثانوي

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

١٤٤٠ - ١٤٤١ هـ
٢٠١٩ - ٢٠٢٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛

فهذا كتاب «تيسير تفسير النسفي لجزء عمّ» المقرر على الصف الأول الثانوي، توخينا فيه تسهيل العبارة، وتوضيحها بما يتناسب وعقول أبنائنا الطلاب، وراعينا فيه الآتي:

- ١- قدّمنا له بمقدمة موجزة في علوم القرآن.
 - ٢- تقسيم السورة إلى موضوعات رئيسة.
 - ٣- حذف القراءات غير المتواترة، والتي لا تتعلق بها المعنى.
 - ٤- عزو الآيات المستشهد بها أثناء التفسير إلى سورها.
 - ٥- تخرّيج الأحاديث وأسباب النزول والحكم عليها.
 - ٦- استخراج الأسرار البلاغية من كل سورة.
 - ٧- ذكر الدروس المستفادة من السورة.
 - ٨- إضافة أسئلة في نهاية كل سورة.
- والله نسال أن ينفع بعملنا هذا الطلاب، وأن يرزقنا عليه جزيل الثواب، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وسلم.

لجنة تطوير المناهج بالأزهر الشريف

مقدمة في علوم القرآن مبادئ علوم القرآن الكريم

١- تعريف علوم القرآن الكريم:

هي: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، كمعرفة أول وآخر ما نزل، وأسباب النزول، وما نزل قبل الهجرة وما نزل بعدها، ومن ناحية كتابته وجمعه ورسمه، ومن ناحية إعجازه وأسلوبه، وأمثاله، وقصصه، وتفسيره، وتوضيح ألفاظه، ومعانيه.

٢- موضوع علوم القرآن:

القرآن ذاته، من هذه النواحي السابقة التي تتعلق بآياته، وسوره، وأسباب نزوله، ومكيه، ومدنيه.

٣- سر التسمية:

سُمِّيَ هذا العلم بعلوم القرآن، ولم يُسَمَّ بعلم القرآن؛ لأنَّ كلَّ مبحث من مباحثه يُعدُّ علمًا مستقلًّا قائمًا بذاته، قد أُلِّفَتْ فيه مؤلفات.

٤- فوائد معرفة علوم القرآن:

- (أ) زيادة المعرفة بهدايات القرآن، وآدابه، وأحكامه، وتشريعاته.
- (ب) الردُّ على شبهات الجاهلين والحاقدين التي أثاروها حول القرآن الكريم.
- (ج) معرفة الشروط التي يجب توافرها في مَنْ يريد تفسير القرآن الكريم.

تعريف القرآن الكريم وبأسمائه ومقاصده

١- القرآن الكريم لغةً: مصدر كالقراءة، مشتق من الفعل «قرأ» بمعنى «تلا»، ثم نُقل من المعنى المصدرى، وجعل اسمًا لكلام الله تعالى، من باب إطلاق المصدر على مفعوله.

٢- القرآن الكريم اصطلاحًا: هو كلامُ الله المعجُزُ المنزَّلُ على رسوله ﷺ، المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته.

٣- أسماء القرآن الكريم:

- (أ) القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١).
- (ب) الكتاب، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾^(٢).
- (ج) الفرقان، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾^(٣).
- (د) الذِّكْر، قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾^(٤).
- (هـ) التَّنْزِيل، قال تعالى: ﴿وَلِئِنْهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^(٥).

هذه أشهر أسماء القرآن الكريم، وما عدَّه بعض العلماء أسماءً للقرآن، فهي في الحقيقة صفاتٌ له، وليست أسماءً.

(١) سورة الإسراء . الآية: ٩ .

(٢) سورة الكهف . الآية: ١ .

(٣) سورة الفرقان . الآية: ١ .

(٤) سورة الأنبياء . الآية: ٥٠ .

(٥) سورة الشعراء . الآيات: ١٩٢ - ١٩٤ .



٦- مقاصد نزول القرآن:

(أ) هداية الناس:

نزل القرآن الكريم لهداية الناس إلى ما يسعدهم في دنياهم وآخرتهم، وتمتاز هذه الهداية عن غيرها بأنها عامّة، وتامّة، وواضحة.

أمّا عمومها: فلاّتها شملت الثقلين، الإنس والجنّ في كل زمان ومكان.

قال تعالى على لسان رسوله ﷺ: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾^(١).

والمعنى: أنّ الله تعالى قد أنزل عليّ هذا القرآن بواسطة وحيه؛ لأنّذركم به يا أهل مكة، ولأنّذركم به جميع من بلغه هذا القرآن.

وأمّا تمامها: فلاّتها تضمنت أمورًا يحتاج الناس إليها في عقائدهم، وأخلاقهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، ولأنّها نظّمت علاقة الفرد بربه، وبنفسه، وبالكون الذي يعيش فيه، ووفّقت بين مطالب الروح والجسد.

وأمّا وضوحها: فلاّتها عرضت الموضوعات والقضايا عرّضًا رائعًا مؤثّرًا، يجمع بين الإيضاح والإقناع.

(ب) الإعجاز:

القرآن معجزة خالدة تشهد بصدق النبي ﷺ فيها بلّغه عن ربه.

والدليل على إعجازه: أنّ الله تحدّى العرب أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور

من مثله، أو بسورة واحدة من مثله، فعجزوا.

(١) سورة الأنعام . الآية: ١٩ .

وإذا كان العرب - وهم أرباب الفصاحة والبلاغة - قد عجزوا فغيرهم أشدُّ عجزاً، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (١).

(ج) التَّعَبُّدُ بِتِلَاوَتِهِ:

يجب على المسلم أن يُكثِرَ من تلاوة القرآن؛ لأنَّ هذه التلاوة ترفع درجاته، وتمحو سيئاته، وتُهذِّبُ أخلاقه، وتشرح صدره.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴾ (٢).

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» (٣).

أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم

١- طريق معرفته:

يُعرف أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن بالنقل عن الصحابة رضي الله عنهم الذين شاهدوا نزول الوحي، وعرفوا من النبي ﷺ أول ما نزل وآخر ما نزل، ثم أخبرونا به.

(١) سورة الإسراء . الآية: ٨٨.

(٢) سورة فاطر . الآية: ٢٩.

(٣) صحيح، رواه الترمذي.

٢- فوائد معرفته:

(أ) تمييز النَّاسِخِ من المنسوخ؛ إذا وردت آيتان، أو آياتٌ في موضوع واحد، وكان الحُكْمُ في إحدى هذه الآيات يُغاير الحكم في الأخرى ولا سبيل إلى الجمع بينهما بأي وجه، فإننا نعرف أن الآية المتأخرة في النزول قد نسخت المتقدمة.

(ب) الوقوف على تاريخ التشريع الإسلامي، وتدرُّجه في تربية الأمة.

(ج) مدى عناية الصَّحابة رضي الله عنهم بالقرآن الكريم حتى عرفوا زمان نزوله، ومكانه، وأسبابه.

٣- أوَّل ما نزل من القرآن:

اتَّفَقَ الجمهور على أن أوَّل ما نزل من القرآن الكريم بإطلاقٍ صدر سورة العلق، إلى قوله - جل شأنه: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١).

والدليل على ذلك: ما رُوي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: «أوَّل ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبَّ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث - أي: يتعبد - فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع - أي: يعود - إلى أهله، ويتزوَّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملكُ فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطَّنني - أي: ضمَّنني - حتى بلغ منِّي الجهدَ ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّنني الثانية حتى بلغ منِّي الجهدَ ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني

(١) سورة العلق . الآية: ٥ .

فَعَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾. الحديث «(١)».

٤- آخر ما نزل من القرآن:

الصَّحِيحُ أَنَّ آخِرَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى الْإِطْلَاقِ: هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْقُؤْا يَوْمًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (٢) فَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قُبَيْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِتِسْعِ لَيَالٍ فَقَطْ، أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (٣) فَقَدْ نَزَلَتْ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَكْثَرِ مِنْ شَهْرَيْنِ، فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، يَوْمَ عَرَفَةَ، فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْهِجْرَةِ.

المكي والمدني

١- تعريف المكي والمدني:

المكي: ما نزل قبل الهجرة، ولو كان نزوله في غير مكة.

المدني: ما نزل بعد الهجرة، ولو كان نزوله في غير المدينة.

وعلى هذا، فقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (٤) من القرآن المدني، مع أنه نزل بعرفة في حجة الوداع.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (٥) من القرآن المدني، مع أنه نزل في جوف الكعبة عام الفتح.

(١) متفق عليه.

(٢) سورة البقرة . الآية: ٢٨١.

(٣) سورة المائدة . الآية: ٣.

(٤) سورة المائدة . الآية: ٣.

(٥) سورة النساء . الآية: ٥٨.

٢- طريق معرفة المكي والمدني:

لا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا عن طريق ما نُقل عن الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهم شاهدوا نزول الوحي، وعرفوا زمانه ومكانه.

٣- ضوابط القرآن المكي:

- (أ) كُلُّ سورةٍ فيها لفظ «كَلَّا» فهي مكيّة، وقد ورد هذا اللفظ ثلاثاً وثلاثين مرّةً في خمس عشرة سورة، في النّصف الثاني من القرآن.
- (ب) كُلُّ سورةٍ فيها سجدةٌ فهي مكيّة.
- (ج) كُلُّ سورةٍ فيها قصص الأنبياء، والأمم السّابقة فهي مكيّة، ما عدا سورتَي البقرة، وآل عمران.
- (د) كُلُّ سورةٍ افتُتحت بحرفٍ من حروف التهجّي فهي مكيّة، ما عدا سورتَي البقرة، وآل عمران.

٤- ضوابط القرآن المدني:

- (أ) كُلُّ سورةٍ تتحدّث عن التشريعات فهي مدنيّة.
- (ب) كُلُّ سورةٍ تتحدّث عن الجهاد وأحكامه فهي مدنيّة.
- (ج) كُلُّ سورةٍ تتحدّث عن المنافقين وصفاتهم فهي مدنيّة.

٥- عدد السور المكيّة والمدنيّة:

- السور المكيّة: ثنتان وثمانون سورة.
- السور المدنيّة: عشرون سورة.
- السور المختلف فيها: اثنتا عشرة سورة.

نزول القرآن الكريم منجماً (١)

١- كيفيته:

نزل القرآن كله بالوحيّ الجليّ، بواسطة جبريل عليه السلام على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٢﴾ .

٢- دليله:

من الأدلة على نزول القرآن الكريم منجماً:

- (أ) قوله تعالى: ﴿ وَقَرَأْنَا أَنَا وَرَبُّنَا لِقَاءَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكَّةٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً ﴿٣﴾ .
- (ب) قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ .

٣- مدته:

اختلف في مدة نزول القرآن منجماً على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تبعاً للاختلاف في مدة بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو في مكة، ف قيل: عشرين سنة، وقيل: ثلاث وعشرين سنة، وقيل: خمس وعشرين سنة. والأقرب للتحقيق: نزوله منجماً في ثلاث وعشرين سنة.

(١) منجماً يعني: في أوقات متفرقة.

(٢) سورة الشعراء. الآيات: ١٩٣ - ١٩٥.

(٣) سورة الإسراء. الآية: ١٠٦.

(٤) سورة الفرقان. الآية: ٣٢.

ء- الحكمة في نزول القرآن الكريم منجماً:

(أ) تثبت قلب الرسول ﷺ، وتسليته، ورفع الحرج عنه، وإزالة ما يعترى

صدره من ضيق وحزن.

قال وتعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿ وَكَلَّا نَقْصُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾^(٢).

(ب) تيسير حفظه وفهمه:

نزل القرآن مفرّقاً؛ ليسهل على المسلمين حفظه، وفهمه؛ إذ لو نزل مرة واحدة لشقّ عليهم أن يحفظوه، ويفهموه. قال سبحانه: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً ﴾^(٣).

أي: نزلناه مفرّقاً منجّماً لتقرأه - أيها الرسول - على الناس بتؤدّة وتثبّت، فإنّه أيسر للحفظ، وأعون في الفهم.

(ج) مساقرة الحوادث:

الأيام مليئة بالأحداث المتعددة، والقضايا المتنوعة، فكان كلما جدّ جديد من الأمور التي تتعلق بمصالح العباد في الدنيا والآخرة، نزل القرآن؛ ليبين الحكم الحقّ فيها، فتجاوب النفوس معه وترتضيه.

(١) سورة الفرقان . الآية: ٣٢.

(٢) سورة هود . الآية: ١٢٠.

(٣) سورة الإسراء . الآية: ١٠٦.

وكم من قضية توقّف النبي ﷺ في البتّ فيها، حتى نزل في شأنها قرآن يُتلى، فكان ما نزل فيها تقريرًا شافيًا، وحكمًا عادلًا، لا يستطيع أحدُ رده، ولا يسع المسلمين إلا قبوله والرضى به؛ مثل حادثة الإفك.

(د) التدرج في التشريع وتربية الأمة:

من أهم الأهداف التي أنزل من أجلها القرآن مفرّقًا: التدرج بالأمة في تخليهم عن الرذائل، وتحليلهم بالفضائل، والترقي بهم في التشريعات، فلو أنّهم أمروا بكل الواجبات، ونهوا عن جميع المنكرات مرّةً واحدة لشقّ عليهم، ولضعفت الهمة الصغيرة عن التجاوب والمسايرة؛ مثل تحريم الخمر.

هـ. الدلالة على الإعجاز:

على الرغم من نزول القرآن مُفرّقًا في نحو ثلاث وعشرين سنة، وفي أوقات متباينة، وأحكام مختلفة، وحوادث متعددة، إلا أنه قد رُتّب ترتيبًا عجيبًا؛ بحيث لا ترى فيه خللاً بين آياته، ولا تنافرًا بين كلماته، ولا تناقضًا في معانيه، ولا اختلافًا في مقاصده ومراميه.

قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَحْكَامَ آيَاتِنَا، ثُمَّ فَضَّلْنَا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾^(١)، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢).

(١) سورة هود. الآية: ١.

(٢) سورة النساء. الآية: ٨٢.

تفسير القرآن

١- تعريف التفسير:

كلمة التفسير في اللغة معناها: الإيضاح والتبيين، تقول: فسرتُ الكلمة إذا وضحت معناها وبيّنته.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(١).
أي: توضيحًا وتبيينًا.

والتفسير اصطلاحًا: علمٌ يُبحث فيه عن مراد الله تعالى من كلامه بقدر الطاقة البشرية.

٢- مناهج التفسير:

سلك العلماء منهجين أساسيين لتحصيل معاني القرآن الكريم هما:

(أ) التفسير بالمأثور. (ب) التفسير بالرأي.

التفسير بالمأثور:

تعريفه: هو بيان معنى الآية بما ورد في القرآن، أو السنة، أو أقوال الصحابة

والتابعين رضي الله عنهم.

مكانته:

هو أفضل أنواع التفسير وأعلىها؛ لأنَّ التفسير بالمأثور إما أن يكون تفسيرًا للقرآن بكلام الله تعالى، فهو أعلم بمراده، وإما أن يكون تفسيرًا للقرآن بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المبيِّن لكلام الله تعالى، وإما أن يكون بأقوال الصحابة، فهُم

(١) سورة الفرقان . الآية: ٣٣.

الذين شاهدوا التنزيل، وهم أهل اللسان، وتميّزوا عن غيرهم بما شاهدوه من القرائن والأحوال حين النزول.

أنواعه: التفسير بالمأثور نوعان:

- ١- ما توافرت الأدلة على صحته. فهذا يجب قبوله، ولا يجوز العدول عنه.
- ٢- ما لم يصح، فيجب رده، ولا يجوز قبوله، ولا الاشتغال به إلا للتحذير منه.

مصادره:

أهم «طرق التفسير بالمأثور» هي:

١- القرآن:

تفسير القرآن بالقرآن أفضل طرق التفسير، ومن أمثله تفسير الكلمات في قوله تعالى: ﴿فَلَقَّحْءَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾^(١). بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

٢- السنة:

إذا لم تجد تفسير القرآن في القرآن فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن ومُبيّنة له. قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣).

ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة: تفسير الخيط الأبيض والخيط الأسود بأنه بياض النهار وسواد الليل.

(١) سورة البقرة . الآية: ٣٧ .

(٢) سورة الأعراف . الآية: ٢٣ .

(٣) سورة النحل . الآية: ٤٤ .

٣- أقوال الصحابة رضي الله عنهم:

وإذا لم تجد تفسير القرآن في القرآن ولا في السنة، فعليك بتفسير الصحابة رضي الله عنهم فإنهم أعلم بذلك؛ لما اختصوا به من مجالسة الرسول صلى الله عليه وسلم ومشاهدة القرائن والأحداث والوقائع. ومن أمثلة تفسير القرآن بأقوال الصحابة: ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما من تفسير (الأب) في قوله تعالى: ﴿وَفَكَهْمًا وَأَبًا﴾^(١) بالكلاء والمرعى، وهو ما تأكله البهائم.

٤- أقوال التابعين: فقد ورد عنهم قدر غير قليل في التفسير بالمأثور.

أهم المؤلفات في التفسير بالمأثور:

١- جامع البيان عن تأويل أي القرآن:

مؤلفه: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، شيخ المفسرين، وُلد في طبرستان^(٢) ببلاد فارس سنة ٢٢٤هـ وتُوفي في بغداد سنة ٣١٠هـ.

ويتميز تفسيره بمزايا منها:

(أ) اعتماده على التفسير بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين.

(ب) التزامه بذكر الإسناد في الرواية.

(ج) عنايته بتوجيه الأقوال والترجيح.

(د) ذكره لوجوه الإعراب.

(هـ) ذكره للقراءات القرآنية وتوجيهها.

(١) سورة عبس . الآية: ٣١ .

(٢) الطبر: هو الذي يُشقق به الأحطاب، و(ستان) الناحية والموضع .

(و) دقته في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات.

٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله:

مؤلفه: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي، ولد في بصرى في الشام سنة: ٧٠٠هـ، وتوفي سنة: ٧٧٤هـ.
ويعدُّ تفسيره من أشهر كتب التفسير بالمأثور بعد تفسير ابن جرير الطبري.

ويتميز بما يلي:

- (أ) يذكر الآية، ثم يُفسِّرُها بعبارة سهلة موجزة.
- (ب) يجمع الآيات المناسبة للآية، ويُقارن بينها.
- (ج) يذكر الأحاديث المرفوعة التي لها صلة بالآية، ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف رضي الله عنهم.
- (د) يُعقِّب على ما في التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائيليات غالباً مبيِّناً خطورتها ومحدِّراً من أثرها السيئ على عقائد المسلمين.

التفسير بالرأي

تعريفه:

هو تفسير القرآن بالاجتهاد المستوفي لشروطه، وهي - بعد توفر صحة الاعتقاد ولزوم سنة الدين - أن يكون ملماً بأصول الدين واللغة والاشتقاق وعلوم البلاغة والفقه وأصوله وأسباب النزول ... إلخ.

أقسامه:

ينقسم التفسير بالرأي إلى قسمين:

١- التفسير بالرأي المحمود:

وهو التفسير المُستمد من القرآن ومن سنة الرسول ﷺ، وكان صاحبه عالماً باللغة العربية وأساليبها، وبقواعد الشريعة وأصولها.

حكاه:

أجازة العلماء، ولهم أدلة كثيرة على ذلك منها:

(أ) قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾^(١).

وغيرها من الآيات التي تدعو إلى التدبر في القرآن الكريم.

(ب) دعاء الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنه بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه

التأويل»، ولو كان التفسير مقصوراً على النقل، ولا يجوز الاجتهاد فيه لما كان لابن عباس مِيزةً على غيره.

(ج) أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في التفسير على وجوه، فدل على أنه من اجتهادهم.

وبهذا يظهر أن التفسير بالرأي المحمود جائز. والله أعلم.

أهم المؤلفات فيه:

مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير.

مؤلفه: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين، وُلد في الرِّي -

ببلاد فارس - سنة: ٥٤٤ هـ، وتُوفي سنة: ٦٠٦ هـ.

(١) سورة محمد . الآية: ٢٤.

ويُعدُّ تفسيره من أوسع التفاسير، فقد تأثر كثيرًا بالعلوم العقلية، فتوسع فيها، وسلك في تفسيره مسلك الحكماء والفلاسفة وعلماء الكلام، واستطرد في العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والمسائل الطبية.

٢- التفسير بالرأي المذموم:

التفسير بمجرد الرأي والهوى.

وأكثر الذين فسّروا القرآن بمجرد الرأي هم أهل الأهواء والبدع، الذين اعتقدوا معتقدات باطلة ليس لها سند ولا دليل، فسّروا آيات القرآن بما يُوافق آراءهم ومعتقداتهم الزائفة، وحملوها على ذلك بمجرد الرأي والهوى.

حكمه:

حرام، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

- ١- قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾^(١).
- ٢- وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٢).

(١) سورة الأعراف . الآية: ٣٣.
(٢) سورة الإسراء . الآية: ٣٦.

أهم المؤلفات فيه:

مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار.

مؤلفه: هو المولى عبد اللطيف الكازراني.

ويعدُّ هذا التفسير مرجعاً مهماً من مراجع التفسير عند الإمامية الاثنا عشرية - فرقة من فرق الشيعة، وأصلاً لمن يريد أن يقف على مدى تأثير عقيدة صاحبه في فهمه لكتاب الله، وتنزيله لنصوصه على وفق ميوله المذهبية، وهواه الشيعي.

أهداف الدراسة

بنهاية دراسة مادة التفسير يُتوقع من الطالب أن:

- ١- يعرف مقاصد سور جزء عمّ، وما اشتملت عليه من موضوعات.
- ٢- يعرف معاني المفردات الغامضة.
- ٣- يقف على التفسير التحليلي للآيات.
- ٤- يقف على أوجه الإعراب المعينة على استيعاب المعاني.
- ٥- يتذوق الأسرار البلاغية للقرآن الكريم من خلال سور جزء عمّ.
- ٦- يستنبط الدروس المستفادة من السور.

سورة النبأ (مكية وهي: أربعون آية)

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٤﴾ تَرَكَلَّا

سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾

النبأ العظيم

﴿عَمَّ﴾ أصله «عن ما»، ثم أدغمت النون في الميم، فصار ﴿عَمَّ﴾، ثم حذفت الألف تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمال في الاستفهام، وهذا استفهام ليس على حقيقته؛ إذ المراد به تفخيم المُستفهم عنه؛ لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضاً؛ أو يسألون غيرهم من المؤمنين، والضمير لأهل مكة حيث كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ أي: البعث، وهو بيان للشأن المفخّم؛ وتقديره: عمّ يتساءلون؟ يتساءلون عن النبي العظيم ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ فمنهم من يقطع بإنكاره ومنهم من يشكُّ، وقيل: الضمير للمسلمين والكافرين، وكانوا جميعاً يتساءلون عنه، فالمسلم يسأل ليزداد خشية، والكافر يسأل استهزاء. ﴿كَلَّا﴾ حرف ردع وزجر عن الاختلاف، والمراد: الردع عن الاختلاف أو التساؤل هزواً. ﴿سَيَعْمُونَ﴾ هذا وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون عياناً أن ما يتساءلون عنه حق، ﴿تَرَكَلَّا سَيَعْمُونَ﴾ كرّر حرف الردع للتشديد، و «ثم» هنا للترتيب الزمني والمعنوي، مما يُشعر بأنّ الثاني أبلغ من الأول وأشدّ.

﴿الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقَكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿١٦﴾﴾

من أدلة القدرة الإلهية في السورة

﴿الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ ﴿٦﴾ لما أنكروا البعث، قيل لهم: ألم يخلق من أضيف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة؛ فلم تنكرون قدرته على البعث، وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات؟ أو قيل لهم: لم فعل هذه الأشياء؟! والحكيم جل شأنه لا يفعل عبثًا، وإنكار البعث يؤدي إلى أنه عابث في كل ما فعل؟. ﴿مِهْدًا﴾ ﴿٦﴾ فراشًا فرشناها لكم حتى سكنتموها ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ﴿٧﴾ للأرض لثلاث تמיד - أي تضطرب وتتحرك - بكم ﴿وَخَلَقَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ﴿٨﴾ ذكرًا وأنثى. ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ ﴿٩﴾ قطعًا لأعمالكم وراحة لأبدانكم، والسَّبْتُ: القطع، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ﴿١٠﴾ سترًا يستركم عن العيون إذا أردتم إخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه. ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ ﴿١١﴾ وقت معاش تتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ ﴿١٢﴾ سبع سموات ﴿شِدَادًا﴾ ﴿١٢﴾ جمع شديدة أي: مُحْكَمَةٌ قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان، أو غلاظًا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام. ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ ﴿١٣﴾ مضيئًا وقادًا أي: جامعًا للنور والحرارة؛ والمراد الشمس. ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ ﴿١٤﴾ أي: السحاب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر، أو الرياح لأنها تنشئ السحاب وتدرّ الأَخْلَاف: جمع خَلْف وهو الضرع (أي تنزل ماءً دافقًا منهمرًا بشدة وقوة) (تشبيه بالضرع الحافل باللبن)

﴿مَاءٌ تَجَاجَا ۙ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۗ وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا﴾ ﴿١٥﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿١٧﴾
 يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ
 فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾

فيصحُّ أن تجعل مبدأً للإنزال. ﴿مَاءٌ تَجَاجَا﴾ مُنْصَبًّا بكثرة ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ﴾ بالماء
 ﴿حَبًّا﴾ كالبُرِّ والشعير ﴿وَنَبَاتًا﴾ وكلاً ﴿وَجَنَّتٍ﴾ بساتين ﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفة
 الأشجار واحدها لِفٌّ كجذع وأجداع، أو لفيف كشريف وأشراف، أو لا واحد
 له كأوزاع، أو هي جمع الجمع؛ فهي جمع لُفِّ واللفُّ جمع لَفَاءٍ وهي شجرة مجتمعة.

مشاهد من يوم القيامة

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل ﴿كَانَ مِيقَتَنَا﴾ وقتاً
 محدداً ومنتهى معلوماً لوقوع الجزاء، أو ميعاداً للثواب والعقاب. ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾
 بدل من ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ أو عطف بيان ﴿فِي الصُّورِ﴾ في القَرْنِ (هو البوق المعدُّ
 للنفختين). ﴿فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ حال؛ أي جماعات مختلفة أو أمماً كل أمة مع رسولها
 ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ قرأ بالتخفيف: عاصمٌ وحمزةٌ والكسائيُّ، أي: سُقَّتْ لنزول
 الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ فصارت ذات أبواب وطرق وفروج وما لها اليوم من
 فروج ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ عن وجه الأرض ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي هباء تُحَيَّلُ
 الشمسُ أنه ماء.

عقاب الطاغين

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ طريقاً عليه ممرُّ الخلق، فالْمُؤْمِنُ يمرُّ عليها والكافر
 يدخلها. وقيل: المرصاد: الحدُّ الذي يكون فيه الرصد، أي: هي حدُّ الطاغين
 الذي يرصدون فيه للعذاب وهي مأبهم، أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدتهم

﴿لَلطَّغِينِ مَنَابَا﴾ ﴿٢٢﴾ لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابَا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا
وَعَسَاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾

الملائكة الذين يستقبلونهم عندها؛ لأنَّ مرورهم عليها ﴿لَلطَّغِينِ مَنَابَا﴾ للكافرين
مرجعًا ﴿لَيْثِينَ﴾: ماكثين، حال من الضمير المقدر العائد في ﴿لَلطَّغِينِ﴾...
﴿فِيهَا﴾ في جهنم ﴿أَحْقَابًا﴾ ظرف، جمع حُقْب وهو الدهر، ولم يرد به عدد
محصور بل الأبد، كلما مضى حُقْب تبعه آخر إلى غير نهاية، ولا يستعمل الحُقْب
والحُقْبَة إلا إذا أريد تتابع الأزمنة وتواليها، وقيل: الحُقْب ثمانون سنة. وسئل
بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب بعد عشرين سنة ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا
شَرَابًا﴾ أي: غير ذائقين حال من ضمير ﴿لَيْثِينَ﴾، فإذا انقضت هذه الأحقاب
التي عُذِّبوا فيها بمنع البرد والشراب بُدِّلوا بأحقاب أُخْر فيها عذاب آخر، وهي
أحقاب بعد أحقاب لا انقطاع لها، وقيل: هو من حَقَب عامنا، إذا قَلَّ مطره
وخيره، وحَقَب فلان: إذا أخطأه الرزق فهو حُقْبٌ وجمعه حِقَاب، فينتصب حالاً
عنهم أي لا يثين فيها حقبين جهدين و ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ تفسير له.
وقوله: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ استثناء منقطع؛ أي: ﴿لَا يَذُوقُونَ﴾ في جهنم
أو في الأحقاب ﴿بَرْدًا﴾ رَوْحًا ينفس عنهم حرَّ النار، أو نومًا، ومنه: منع البردُ
البرد، أي: منع برد الشتاء النوم، ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ يُسَكِّن عطشهم ولكن يذوقون
فيها حميمًا وماء حارًا يحرق ما يأتي عليه ﴿وَعَسَاقًا﴾ ماء يسيل من صديدهم، قرأ
بالتشديد: عاصم وحمزة والكسائي. وبالتخفيف شعبة والباقون، ﴿جَزَاءً﴾
جُوزوا جزاء ﴿وَفَاقًا﴾ موافقًا لأعمالهم، مصدر بمعنى الصفة، أو ذا وفاق.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ (٢٧) ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ (٢٨) ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (٢٩) ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (٣٠) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (٣١) ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ (٣٢) ﴿وَكَوَاعِبَ أُنْرَابًا﴾ (٣٣) ﴿وَكُرْسِيِّهَا قَا﴾ (٣٤) ﴿

ثم استأنف معللاً ومبيناً سبب دخولهم جهنم فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ لا يخافون محاسبة الله إياهم، أو لم يؤمنوا بالبعث فيرجون حساباً ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ تكذيباً، (وَفِعَال) في باب (فَعَل) كله كثير مستفيض. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ نُصِبَ بِمَضْمَرٍ يَفْسِرُهُ ﴿أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (والتقدير: أحصينا كل شيء أحصيناه) ﴿أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ مكتوباً في اللوح، حال، أو مصدر في موضع إحصاء، أو (أحصينا) في معنى كتبنا؛ لأن الإحصاء يكون بالكتابة غالباً. وهذه الآية ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ اعتراض؛ لأن قوله: ﴿فَذُوقُوا﴾ مُسَبَّبٌ عَنْ كُفْرِهِمْ بِالْحِسَابِ وَتَكْذِيبِهِمْ بِالْآيَاتِ؛ أَي: فَذُوقُوا جَزَاءَكُمْ، وَالِاتِّفَاتِ مِنَ الْغِيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ^(١) شَاهِدَ عَلَى شِدَّةِ الْغَضَبِ ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

مظاهر ثواب المتقين:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ مَفْعَلٌ مِنَ الْفَوْزِ، يَصْلِحُ مَصْدَرًا أَي: نَجَاةٌ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ، وَظَفْرًا بِكُلِّ مَحْبُوبٍ، وَيَصْلِحُ لِلْمَكَانِ وَهُوَ الْجَنَّةُ، ثُمَّ أُبْدِلَ مِنْهُ بَدَلُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ فَقَالَ ﴿حَدَائِقَ﴾: بَسَاتِينَ فِيهَا أَنْوَاعُ الشَّجَرِ الْمُثْمَرِ، جَمْعُ حَدِيقَةٍ ﴿وَأَعْنَابًا﴾ كُرُومًا؛ عُطِفَ عَلَى ﴿حَدَائِقَ﴾، ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ نَوَاهِدُ ﴿أُنْرَابًا﴾ لِدَّاتٍ، أَي: مَسْتَوِيَاتٍ فِي السَّنِّ، ﴿وَكُرْسِيِّهَا قَا﴾ مَمْلُوءَةٌ.

(١) والالتفات هو الانتقال بالأسلوب من الغيبة إلى الخطاب أو العكس وهو نوع من أنواع المحسنات البلاغية.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ ٣٥ ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ ٣٦ ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ٣٧ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ٣٨ ﴿

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة، حال من ضمير خبر ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿لَغْوًا﴾ كلامًا باطلاً لا فائدة فيه ﴿وَلَا كِذَابًا﴾ أي ولا كذبًا من القول، وقرأ الكسائي من غير تشديد: بمعنى مكاذبة أي لا يكذب بعضهم بعضًا ولا يكاذبه ﴿جَزَاءً﴾ مصدر أي جزاهم جزاء، ﴿مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً﴾ مصدر أو بدل من ﴿جَزَاءً﴾، ﴿حِسَابًا﴾ صفة، يعني كافيًا.

اليوم الحق:

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ قرأ بجر (ربّ، والرحمن): ابنُ عامر وعاصم بدلًا من ﴿رَبِّكَ﴾، ومن رفعهما ف ﴿رَبِّ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره (الرحمن)، أو (الرحمن) صفته، و﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ خبر، أو هما خبران، والضمير في ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ لأهل السماوات والأرض، والضمير في ﴿مِنْهُ خِطَابًا﴾ لله تعالى، أي: لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى إلا بإذنه، أو لا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى خوفًا (هيبة وإجلالًا) ﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾ إن جعلته ظرفًا لـ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ لا تقف على ﴿خِطَابًا﴾، وإن جعلته ظرفًا لـ ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ تقف. ﴿الرُّوحُ﴾ جبريل عند الجمهور، وقيل: هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقًا أعظم منه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ حال أي: مُصْطَفَيْنِ ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي الخلائق ثم؛ خوفًا منه ﴿إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في الكلام أو الشفاعة ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ۖ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾

حقًا بأن قال المشفوع له «لا إله إلا الله» في الدنيا، أو لا يؤذن إلا لمن يتكلم بالصواب في أمر الشفاعة. ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ الثابت وقوعه ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا﴾ مرجعًا بالعمل الصالح ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ﴾ أيها الكفار ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ في الآخرة؛ لأن ما هو آت قريب ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾ أي: الكافر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من الشرِّ، لقوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾^(١). وتخصيص الأيدي؛ لأن أكثر الأعمال تقع بها، وإن احتمل أن لا يكون للأيدي مدخل فيما ارتكب من الآثام ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾ وضع الظاهر موضع المضمرة لزيادة الدم، أو المرء عام وخص منه الكافر، و﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: ما عمل من خير وشر، أو هو المؤمن لذكر الكافر بعده، وما قدم: من خير.

و«ما» استفهامية منصوبة بـ ﴿قَدَّمَتْ﴾ أي: ينظر أي شيء قدمت يده، أو موصولة منصوبة بـ ﴿يَنْظُرُ﴾ يقال: نظرته يعني نظرت إليه، والراجع من الصلة محذوف أي: ما قدمته ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف، أو ليتني كنت ترابًا في هذا اليوم فلم أبعث، وقيل: يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء (التي لا قرون لها) من القرناء، ثم يرده ترابًا، فيود الكافر حاله، وقيل: الكافر إبليس يتمنى أن يكون كآدم مخلوقًا من التراب؛ ليثاب ثواب أولاده المؤمنين.

(١) سورة الأنفال . الآيتان: ٥٠، ٥١.

من الأسرار البلاغية

- في قوله تعالى: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ إيجاز بحذف الفعل، لدلالة المتقدم عليه، أي: يتساءلون عن النبأ العظيم.

- في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۖ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تشبيهه بليغ، أي: جعلنا الأرض كالمهاد الذي يفرشه النائم، والجبال كالأوتاد التي تثبت غيرها. ومثله ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: كاللباس في الستر.

- في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ مقابلة.

- في قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ تشبيهه بليغ، أي كالأبواب في التشقق والتصدع، فحذفت الأداة ووجه الشبه.

- في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أمر يراد به الإهانة والتحقير.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١- بث دلائل القدرة في الكون لتكون؛ سبيلاً للإيمان بالآخرة.
- ٢- يوم القيامة هو يوم الفصل بين الخلائق.
- ٣- بيان ما أعده الله تعالى لعباده الطائعين من النعيم، وما أعده للعصاة من العذاب الأليم.
- ٤- المبادرة بالعمل الصالح قبل فوات الأوان.
- ٥- إظهار حسرة الكافر يوم القيامة؛ لعدم اتباعه هدى الله عز وجل.

الأسئلة

س ١: بيّن معاني الكلمات الآتية:

(النَّبِيَّ، كَلَامًا، مَهْدًا، أَوْتَادًا، سُبَانًا، الْمُعَصِّرَاتِ، ثَجَّجًا، أَلْفَافًا، أَفْوَاجًا).

س ٢: بيّن كيف كان الاختلاف في أمر البعث؟.

س ٣: ما الغرض الذي من أجله تحدثت السورة عن مظاهر القدرة؟.

س ٤: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ۖ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾.

س ٥: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة.

سورة النازعات

(مكية وهي: ست وأربعون آية)

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ۝١ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّيِّقَاتِ ۝٤ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ۝٥ ﴾

البعث حق

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ۝١ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّيِّقَاتِ ۝٤ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ۝٥ ﴾

سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ﴿ غَرْاقًا ﴾ أي: مُبَالِغَةً فِي النِّزْعِ، تَنْزِعُهَا مِنْ أَقْصَى الْأَجْسَادِ مِنْ أَنْمَالِهَا وَمَوَاضِعِ أَظْفَارِهَا، وَبِالطَّوَائِفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَنْشِطُهَا، أَي: تُخْرِجُهَا، مِنْ نَشْطِ الدَّلْوِ مِنَ البئرِ إِذَا أَخْرَجَهَا، وَبِالطَّوَائِفِ الَّتِي تَسْبِحُ فِي مَضِيِّهَا؛ أَي: تُسْرِعُ فَتَسْبِقُ إِلَى مَا أَمُرُوا بِهِ، فَتُدَبِّرُ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الْعِبَادِ مِمَّا يَصْلِحُهُمْ فِي دِينِهِمْ أَوْ دُنْيَاهُمْ كَمَا رَسَمَ لَهُمْ. أَوْ الْقِسْمِ هُنَا بِخَيْلِ الْغَزَاةِ الَّتِي تَنْزِعُ فِي أَعْتَتِهَا^(١) نَزْعًا تَعْرِقُ فِيهِ الْأَعْنَةَ لَطُولِ أَعْنَاقِهَا لِأَنَّهَا عِرَابٌ - أَي: عَرَبِيَّةٌ لَيْسَ بِهَا عِرْقٌ هَجِينٌ - وَالَّتِي تَخْرُجُ مِنْ دَارِ الْإِسْلَامِ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ، مِنْ قَوْلِكَ: ثَوْرٌ نَاشِطٌ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَالَّتِي تَسْبِحُ فِي جَرِيهَا فَتَسْبِقُ إِلَى الْغَايَةِ فَتُدَبِّرُ أَمْرَ الْغَلْبَةِ وَالظَّفَرِ، وَإِسْنَادِ التَّدْبِيرِ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا مِنْ أَسْبَابِهِ. أَوْ بِالنَّجُومِ الَّتِي تَنْزِعُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَإِغْرَاقِهَا فِي النِّزْعِ أَنْ تَقْطَعَ الْفَلَكَ كُلَّهُ حَتَّى تَنْحَطَّ فِي أَقْصَى الْمَغْرِبِ،

(١) الْعَنَانُ سَيْرُ اللَّجَامِ الَّذِي تَمْسُكُ بِهِ الدَّابَّةُ، وَالْعَرَبُ تَذِمُّ الْفَرَسَ لِقَصْرِ عَنَانِهِ، تَاجُ الْعُرُوسِ مَادَّةُ تَمْهَدٍ . ٤١٤/٣٥ .
ومعنى: تنزع في أعتتها: أي يُمدُّ في سير لجامها لطول أعناقها.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعَهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَرُهَا
خَشِيعَةً ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾﴾

والتي تخرج من برج إلى برج، والتي تسبح في الفُلك من الكواكب السيارة فتسبق فتدبر أمراً من علم الحساب، وجواب القسم محذوف وهو (لتبعثنَّ)؛ لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ تتحرك حركة شديدة، والرَّجْفُ شدة الحركة ﴿الرَّاجِفَةُ﴾ النفخة الأولى؛ وُصفت بما يحدثُ بحدوثها؛ لأنها تضطرب بها الأرض حتى يموت كل مَنْ عليها ﴿تَتَّبِعَهَا﴾ حال عن الراجفة ﴿الرَّادِفَةُ﴾ النفخة الثانية؛ لأنها تُردف الأولى، وبينهما أربعون سنة، والأولى تميم الخلق والثانية تحييهم ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ قلوب منكري البعث ﴿وَاجِفَةٌ﴾ مضطربة من الوَجِيف، وهو الوَجِيب، أي: شدة الاضطراب. وانتصاب ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ بما دل عليه ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي يوم ترجف وجفت القلوب، وارتفاع ﴿قُلُوبٌ﴾ بالابتداء، و﴿وَاجِفَةٌ﴾ صفتها ﴿أَبْصَرُهَا﴾ أي: أبصار أصحابها ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة لهول ما ترى، ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: منكرو البعث في الدنيا استهزاء وإنكاراً ﴿أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ استفهام بمعنى الإنكار، أي: أنردُّ بعد موتنا إلى أوَّل الأمر فنعود أحياء كما كنَّا؟! والحافرة الحالة الأولى، يقال لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد إليه: رجع إلى حافرته، أي: إلى حالته الأولى. ومن أقوالهم: كانت الخيل أفضل ما يباع؛ فإذا اشترى الرجل الفرس قال له صاحبه: النقذ عند حافر الفرس - أي حالة البيع الأولى.

﴿أَيْ ذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً﴾ ١١ ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّهَ خَاسِرَةٌ﴾ ١٢ ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ١٣ ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ ١٤ ﴿هَلْ أُنثِيَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ١٥ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ١٦ ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ١٧ ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَ﴾ ١٨ ﴿

أنكروا البعث، ثم زادوا استبعادًا فقالوا ﴿أَيْ ذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً﴾ بالية، وقرأ (ناخرة) بالألف: حمزة والكسائي، وفعلٌ أبلغ من فاعل، يقال: نخر العظم فهو نخرٌ وناخر. والمعنى أنردُّ إلى الحياة بعد أن صرنا عظامًا بالية؟

﴿قَالُوا﴾ أي: منكرو البعث ﴿تِلْكَ﴾ رجعتنا ﴿إِذَا كَرَّهَ خَاسِرَةٌ﴾ رجعة ذات خسران أو خاسرٌ أصحابها، والمعنى أنها إن صحت وبُعثنا فنحن إذا خاسرون؛ لتكدينا بها، وهذا استهزاء منهم. ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ متعلق بمحذوف أي: لا تحسبوا تلك الكرَّة صعبة على الله عز وجل؛ فإنها سهلة هيئة في قدرته، فما هي إلا صيحة واحدة - يريد النفخة الثانية - من قولهم: زَجَرَ البعير إذا صاح عليه ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتًا في جوفها. وقيل: الساهرة أرض بعينها بالشام إلى جنب بيت المقدس، أو أرض مكة، أو جهنم.

قصة موسى وفرعون

﴿هَلْ أُنثِيَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع، والتشريف للمخاطب به، وهو النبي ﷺ. ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾ حين ناداه ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ المبارك المطهر ﴿طُوًى﴾ اسمه ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ على إرادة القول ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ تجاوز الحد في الكفر والفساد. ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَ﴾ هل لك ميل إلى أن تتطهر

﴿ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَانْحَسِبْ ﴾ ١٩ ﴿ فَأَرِنَهُ آيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ ٢٠ ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾ ٢١ ﴿ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾ ٢٢ ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾ ٢٣ ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ ٢٤ ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ ﴾

من الشرك والعصيان بالطاعة والإيمان ﴿ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ وأرشدك إلى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه ﴿ فَانْحَسِبْ ﴾ لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(١) أي: العلماء به، وعن بعض الحكماء: اعرف الله، فمن عرف الله لم يقدر أن يعصيه طرفة عين؛ فالخشية ملاك الأمور؛ ومن خشي الله أتى منه كل خير، ومن آمن اجترأ على كل شر، ومنه الحديث: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ»^(٢).

بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض؛ كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا؟ وأردفه الكلام الرقيق، ليستدعيه باللطف في القول، ويستنزه بالمداورة عن عُتُوِّه، كما أمر بذلك في قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَيِّنًا ﴾^(٣). ﴿ فَأَرِنَهُ آيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ أي فذهب فأرى موسى فرعون العصا، أو العصا واليد البيضاء؛ لأنهما في حكم آية واحدة ﴿ فَكَذَّبَ ﴾ فرعون بموسى، وبالآية الكبرى، وسماهما ساحرًا وسحرًا ﴿ وَعَصَى ﴾ الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَذْبَرَ ﴾ تولى عن موسى ﴿ يَسْعَى ﴾ يجتهد في مكايده، أو لما رأى الثعبان أذبر مرعوبًا يسرع في مشيته، وكان طيًّا خفيًّا. ﴿ فَحَشَرَ ﴾ فجمع السحرة وجنده ﴿ فَنَادَى ﴾ في المقام الذي اجتمعوا فيه معه ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ لا ربَّ فوقي، وكانت لهم أصنام يعبدونها. ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ ﴾ عاقبه الله عقوبة الآخرة، والنكال بمعنى التنكيل؛ كالسلام بمعنى

(١) سورة فاطر . الآية: ٢٨ .

(٢) رواه الترمذي وحسنه، وقوله: أدلج - بإسكان الدال - ومعناه: سار من أول الليل، والمراد التشمير في طاعة الله عز وجل.

(٣) سورة طه . الآية: ٤٤ .

﴿وَالأُولَىٰ ﴿٣٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٣٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا
فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٣٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٣٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾﴾

التسليم. ونصبه على المصدر^(١)، لأن أخذ بمعنى نكل؛ كأنه قيل: نكل الله به
﴿نَكَالَ الْآخِرَةَ﴾ أي الإحراق ﴿وَالأُولَىٰ﴾ أي الإغراق، أو نكال كلمته الآخرة
وهي ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَىٰ﴾ والأولى وهي ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرِي﴾^(٢)،
وبينها أربعون سنة أو ثلاثون أو عشرون ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن
يَخْشَىٰ﴾ الله.

قدرة مطلقة ونعم لا تحصى

﴿ءَأَنتُمْ﴾ يا منكري البعث ﴿أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أصعب خلقاً وإنشاء ﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾
مبتدأ محذوف الخبر أي: أم السماء أشدُّ خلقاً. ثم بيّن كيف خلقها فقال: ﴿بَنَاهَا﴾
أي الله. ثم بين البناء فقال: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ أعلى سقفها. وقيل: جعل مقدار
ذهابها في سمت العلو رفيعاً مسيرة خمسمائة عام ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ فعدلها مستوية بلا
شقوق ولا فطور.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أبرز ضوء شمسها، وأضيف الليل
والشمس إلى السماء؛ لأنَّ الليل ظلّمته والشمس سراجها ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ
دَحَاهَا﴾ بسطها^(٣)، وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت، ثم فسر البسط فقال

(١) المفعول المطلق.

(٢) سورة القصص . الآية: ٣٨.

(٣) والدحو: هو البسط، لسان العرب مادة دحا ٢٥١ / ١٤٠.

﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا ﴾ ٣١ ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا ﴾ ٣٢ ﴿ مَنَّاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ ﴾ ٣٣ ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ
الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ ٣٤ ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾ ٣٥ ﴿ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾ ٣٦ ﴿ فَأَمَّا مَنْ
طَغَى ﴾ ٣٧ ﴿ وَءَاثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ٣٨ ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ ٣٩ ﴿

﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا ﴾ بتفجير العيون ﴿ وَمَرَعَهَا ﴾ كلاًها، ولذا لم يدخل العاطف
على ﴿ أَخْرَجَ ﴾، أو ﴿ أَخْرَجَ ﴾ حال بإضمار «قد».

﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا ﴾ أثبتها، وانتصاب الأرض والجبال بإضمار دحا وأرسي
على شريطة التفسير^(١) ﴿ مَنَّاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ ﴾ فعل ذلك تمتيعاً لكم ولأنعامكم،
و﴿ مَنَّاعًا ﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله.

مصير الخلق

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ الداهية العظمى التي تَطُمُّ على الدواهي - أي:
تعلو وتغلب - وهي النفخة الثانية، أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة
وأهل النار إلى النار.

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ ﴾ بدل من ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ ﴾ أي: إذا رأى أعماله مُدَوَّنة
في كتابه يتذكرها وكان قد نسيها ﴿ مَا سَعَى ﴾ مصدرية أي: سعيه، أو موصولة
بمعني الذي ﴿ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ ﴾ وأظهرت. ﴿ لِمَنْ يَرَى ﴾ لكل راءٍ، لظهورها
ظهوراً بيناً. ﴿ فَأَمَّا ﴾ جواب ﴿ فَإِذَا ﴾ أي: إذا جاءت الطامة فإن الأمر كذلك
﴿ مَنْ طَغَى ﴾ جاوز الحد فكفر.

﴿ وَءَاثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ على الآخرة باتباع الشهوات ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾
المرجع؛ أي مأواه، والألف واللام بدل من الإضافة، وهذا عند الكوفيين، وعند

(١) أي أرسي الجبال ودحا الأرض.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ
عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَبَهَا ﴿٤٤﴾

سيبويه وعند البصريين ﴿هِيَ الْمَأْوَى﴾ له، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: علم أن له مقامًا يوم القيامة لحساب ربه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمانة بالسوء ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ المؤذي، أي: زجرها عن اتباع الشهوات، وقيل: هو الرجل يهجم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها، والهوى ميل النفس إلى شهواتها ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أي: المرجع.

متى الساعة؟

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى إرساؤها؛ أي: إقامتها، يعني متى يقيمها الله تعالى ويشتها ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به، أي: ما أنت من ذكراها لهم وتبين وقتها في شيء، كقولك: ليس فلان من العلم في شيء؛ وكان رسول الله ﷺ لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت، فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها، أي: أنهم يسألونك عنها، فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسال عنها.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَبَهَا﴾ منتهى علمها، متى تكون، لا يعلمها غيره، أو ﴿فِيمَ﴾ إنكار لسؤالهم عنها، أي: فِيمَ هذا السؤال؟ ثم قال ﴿أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ أي: إرسالك وأنت آخر الأنبياء علامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها، ولا يبعد أن يوقف على ﴿فِيمَ﴾، وقيل ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ متصل بالسؤال، أي يسألونك عن الساعة أيان مرساها ويقولون أين أنت من ذكراها، ثم استأنف فقال

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَّحْشَهَا ۗ ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَبَهَا﴾ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَّحْشَهَا﴾ أي: لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة، وإنما بعثت لتنذر من أهوالها من يخاف شدائدتها. ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَا﴾ أي الساعة ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ في الدنيا أي ضحى يوم العشية؛ استقلوا مدة لبثهم في الدنيا لما عاينوا من الهول؛ كقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾^(١) وقوله: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^(٢) وإنما صحّت إضافة الضحى إلى العشية؛ للملاسة بينهما لاجتماعهما في نهار واحد، والمراد أنّ مدة لبثهم لم تبلغ يوماً كاملاً ولكن أحد طرفي النهار عشيته أو ضحاها، والله أعلم.

من الأسرار البلاغية

- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ للتشويق إلى معرفة القصة.

- بين قوله تعالى: ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾^(٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّنَهَا، وقوله ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا مقابلة.

- السَّاءُ وَالْأَرْضُ بَيْنَهُمَا طَبَاقٌ.

- في قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ استعارة تصرّحية في كلمة مَرَعَاهَا أي: نباتها، شبه أكل الناس برعي الأنعام، واستعير الرعي للإنسان، بجامع الأكل في كُلِّ، فإطلاق المرعى على ما يأكله الناس استعارة.

(١) سورة الاحقاف . الآية: ٣٥ .

(٢) سورة المؤمنون . الآية: ١١٣ .

- بين قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾
وقوله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾
مقابلة.

- في قوله تعالى: ﴿ أَيَّانَ مُرْسِنَا ﴾ استعارة تصريحية؛ فقد استعار الإرساء، وهو لا يستعمل إلا فيما له ثقل.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١- يقسم الله تعالى ببعض مخلوقاته؛ للفت الأنظار إلى أهميتها وعظيم مكانتها.
- ٢- ليوم القيامة أهوال تزلزل القلوب.
- ٣- في مصير فرعون عبرة للطغاة المتكبرين.
- ٤- التفكّر في قدرة الله تعالى يُورث الخشية.
- ٥- لا يعلم الساعة إلا الله تعالى.

الأسئلة

س ١: بين معاني الكلمات الآتية:

(غَرَقًا، نَشَطًا، سَبَحًا، الرَّادِفَةُ، واجِفَةُ، الحَافِرَةُ، زَجْرَةٌ، بِالسَّاهِرَةِ، فَحَشَرَ، نَكَالَ سَمَكُهَا، وَأَغَطَشَ، دَحَنَهَا، وَبُرِزَتِ، الْمَأْوَى، مُرْسَهَا).

س ٢: بأي شيء أقسم الله تعالى في أول السورة، وما جواب القسم؟.

س ٣: لماذا استبعد المشركون وقوع البعث؟ وكيف ردت عليهم السورة؟.

س ٤: قسّمت السورة الناس يوم القيامة إلى فريقين، فمنّ هما؟ وما مصير كل فريق؟.

س ٥: اذكر الآيات التي تدل على أنّ الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى.

س ٦: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) الاستفهام في قوله: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ مُوسَى﴾.

(ب) قوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا﴾.

س ٧: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة.

سورة عبس

(مكية وهي: اثنتان وأربعون آية)

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ

الذِّكْرَى ﴿٤﴾ ﴾

عتاب لرسول الله ﷺ

﴿ عَبَسَ ﴾ قطب وجهه، أي: النبي ﷺ، يعني استنكر الشيء بوجهه، ﴿ وَتَوَلَّى ﴾

أعرض.

﴿ أَنْ جَاءَهُ ﴾ لأن جاءه، أي: لمجيء الأعمى يسأل عن أمور دينه، ف(أن) في

موضع نصب مفعول له ﴿ الْأَعْمَى ﴾ عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه، وأم مكتوم: أم أبيه، وأبوه شريح بن مالك.

نزلت ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ، فجعل

يقول: يا رسول الله، أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين،

فجعل رسول الله يعرض عنه، ويقبل على الآخر، فيقول له: أترى بما أقول

بأسا؟ فيقول: لا، فنزلت ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾، فكان رسول الله ﷺ

يكرمه بعدها، ويقول مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، واستخلفه على المدينة مرتين

في غزوتين غزاهما^(١).

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ وأي شيء يجعلك عالماً بحال هذا الأعمى ﴿ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴾ لعل

الأعمى يتطهر من دنس الجهل بما يسمع منك، وأصله يتزكى، فأدغمت التاء

(١) قال الإمام الترمذي: حديث غريب، ورواه الإمام الحاكم في المستدرک باب تفسير سورة عبس وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبُ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْتَصِيٰ ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾﴾

في الزاي، وكذا ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ ﴿فَنَنْفَعُهُ﴾ قرأ عاصم ﴿فَنَنْفَعُهُ﴾ بالنصب جوابًا للعل، وقرأ غيره بالرفع عطفًا على ﴿يَذَّكَّرُ﴾. ﴿الذِّكْرَىٰ﴾ ذكراك، أي موعظتك، أي: إنك لا تدري ما هو مترقب منه من تزكٍّ ولو دريت لما فرط ذلك منك. ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَىٰ﴾ أي: مَنْ كان غنيًا بالمال، فاستغنى عن الله وعن الإيثار بما له من الثروة والمال.

﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾ تتعرض للإقبال عليه حرصًا على إيمانه.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبُ﴾ وليس عليك بأس في ألا يتزكى بالإسلام، إن عليك إلا البلاغ.

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾ يُسرع في طلب الخير.

﴿وَهُوَ يَخْتَصِيٰ﴾ الله أو الكفار، أي أذاهم في إتيانك.

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَىٰ﴾ تتشاغل، وأصله تتلهى.

القرآن موعظة وتذكرة

﴿كَلَّا﴾ «حقًا» ﴿إِنَّهَا﴾ إِنَّ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ فَمَنْ شاء أن يتعظ ويعتبر بهذا التذكير فاز وربح، وَمَنْ شاء غير ذلك خسر وضاع، وجاء الضمير مُذَكَّرًا؛ لأنَّ التذكرة هنا في معنى الذِّكْر والوعظ، والمعنى: فمن شاء الذكر ألهمه الله إياه.

﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا
 أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ
 فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ فِي صُحُفٍ ﴾ صفة لتذكرة؛ أي: أنها مثبتة في صحف منسوخة من اللوح،
 أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي في صحف ﴿ مُّكَرَّمَةٍ ﴾ عند الله. ﴿ مَرْفُوعَةٍ ﴾
 في السماء، أو مرفوعة القدر والمنزلة ﴿ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ كتبة، جمع سافر
 بمعنى سفير؛ أي: رسول وواسطة؛ أي الملائكة يتسخون الكتب من اللوح.
 ﴿ كِرَامٍ ﴾ على الله أو عن المعاصي ﴿ بَرَرَةٍ ﴾ أتقياء، جمع بارّ.

﴿ قُلِ الْإِنْسَانُ ﴾ لعن الكافر وطُرد من رحمة الله تعالى ﴿ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ استفهام
 توبيخ، أي: أي شيء حمله على الكفر، أو هو تعجب، أي ما أشد كفره.

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾؟ استفهام ومعناه التقرير، ثم بيّن ذلك الشيء فقال:
 ﴿ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾ على ما يشاء من خلقه. ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ نصب السبيل
 بفعل مضمر دل عليه ﴿ يَسَّرَهُ ﴾؛ أي: ثم سهّل له سبيل الخروج من بطن أمه، أو
 بيّن له سبيل الخير والشر.

﴿ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ جعله ذا قبر يُوارى فيه تكرّياً له، لا كالبهائم، وقبر الميّت
 أي: دفنه، وأقبره إذا أمر بدفنه، أو مكّن غيره من دفنه. ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ أحياء
 بعد موته.

﴿ كَلَّا ﴾ ردع للإنسان عن الكفر ﴿ لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ﴾ لم يفعل هذا الكافر ما
 أمره الله به من الإيمان.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ٢٤ ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ ٢٥ ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ ٢٦ ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ ٢٧ ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ ٢٨ ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ ٢٩ ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ ٣٠ ﴿وَفِكَهَةً وَأَبًّا﴾ ٣١ ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾ ٣٢ ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ ٣٣ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ٣٤ ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ ٣٥ ﴿وَصَحْبِيهِ﴾ ٣٦ ﴿وَبَنِيهِ﴾ ٣٦

من نعم الله على الإنسان

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ الذي يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره، ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ يعني: المطر من السحاب، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ بالنبات، ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ كالبرِّ والشعير وغيرهما مما يُتَغَدَّى به. ﴿وَعِنَبًا﴾ ثمرة الكرم؛ أي الطعام والفاكهة ﴿وَقَضْبًا﴾ وهو كل ما يؤكل من النبات رطباً، كالقثاء والخيار ونحوهما، وسمي قَضْبًا، لأنه يُقَضَّب - أي يُقَطَّع - مرة بعد أخرى.

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ ٢٩ ﴿وَحَدَائِقَ﴾ وبساتين ﴿غُلْبًا﴾ غلاظ الأشجار، جمع غُلْبَاء. ﴿وَفِكَهَةً﴾ لكم ﴿وَأَبًّا﴾ مرعى لدوابكم. ﴿مَنْعًا﴾ مصدر، أي منفعة ﴿لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾.

أحوال يوم القيامة

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ صيحة القيامة؛ لأنها تَصُحُّ الأذان، أي: تُصمُّها لشدة صوتها، وجوابه محذوف يدل عليه قوله: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ٣٤ ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ لتبعاتٍ بينه وبينهم، أو لاشتغاله بنفسه. ﴿وَصَحْبِيهِ﴾ وزوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾ بدأ بالأخ ثم بالأبوين؛ لأنَّهما الأقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين؛ لأنهم أحب.

لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٢﴾

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمٍ شَأْنٌ﴾ في نفسه ﴿يُغْنِيهِ﴾ يكفيه عن الاشتغال بأي أمر
آخر سواه.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ مضيئة من قيام الليل أو من آثار الضوء. ﴿ضَاحِكَةٌ
مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ أي: أصحاب هذه الوجوه - وهم المؤمنون - ضاحكون مسرورون.
﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ غُبار. ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ يعلو الغبرة سواد كالدخان،
ولا ترى أقرب من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه، ﴿أُولَئِكَ﴾ أهل هذه الحالة
﴿هُمُ الْكُفْرَةُ﴾ في حقوق الله ﴿الْفَجْرَةُ﴾ في حقوق العباد، ولما جمعوا الفجور إلى
الكفر جمع إلى سواد وجوههم الغبرة.

من الأسرار البلاغية

- في قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة، حيث
كان مقتضى الظاهر أن يقول الله لرسوله ﷺ: «عبست وتوليت»، لكنه عدل عن
ذلك إجلالاً له ولطفاً به؛ لما في المشافهة بقاء الخطاب من العتاب الصريح .

- في قوله: ﴿قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ استفهام خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى
مجازي هو التوبيخ.

- في قوله: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ استفهام خرج عن معناه الأصلي إلى معنى
مجازي وهو التقرير.

- في قوله: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ مجاز مرسل؛ لأنَّ الحدائق نفسها ليست غليظة،
بل الغليظ أشجارها.

بعض ما يستفاد من السورة

- ١- الأخذ بالأولى والنظر في تقديم الأهم على المهم.
- ٢- الحرص على دعوة الناس وهدايتهم.
- ٣- العمى الحقيقي عمى القلب والبصيرة وليس البصر.
- ٤- المساواة في الدعوة، فلا فرق بين الأغنياء والفقراء.
- ٥- الأدب الرباني في نصيحة الآخرين، فلا بُدَّ أن نهتم بمشاعرهم حتى لا يُؤذيه قولنا.
- ٦- على المسلمين أن تكون أفعالهم وأقوالهم موافقة لما في القرآن.
- ٧- الترغيب في الاستعداد ليوم القيامة بالأعمال الصالحة.

الأسئلة

س ١: ما معنى ﴿عَبَسَ﴾، ﴿وَوَلَّى﴾؟ وَمَنْ هو الأعمى؟ وما سبب نزول الآيات؟ وكيف كان النبي ﷺ يعامله بعد نزول تلك الآيات؟.

س ٢: ما معنى ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾؟ وما أصل قوله ﴿يَزَنَّ﴾؟ وما معنى ﴿أَسْتَغْنَى﴾؟ وما المراد بقوله: ﴿تَصَدَّى﴾؟ وما أصله؟.

س ٣: ما معنى ﴿قُلْ﴾؟ وما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾؟ ولم نُصَب ﴿السَّيْلَ﴾؟ وما معنى ﴿صَبَبْنَا، شَقَقْنَا﴾؟.

س ٤: ما معنى ﴿وَقَضَبًا﴾، ولم سُمِّي بذلك؟ وما ﴿الصَّاحَّةُ﴾؟ ولم سميت بذلك؟ وما المراد بصاحبته؟.

س ٥: ما معنى ﴿مُسْفِرَةٌ﴾؟ وعلام يدل قوله تعالى: ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾؟ وما معنى ﴿غَبْرَةٌ﴾؟ وما المصير الذي ينتظرهم لجمعهم الفجور إلى الكفر؟.

س ٦: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَوَلَّى﴾.

(ب) في قوله تعالى: ﴿قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾.

(ج) في قوله تعالى: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾.

س ٧: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة.

سورة التكوير

(مكية وهي: تسع وعشرون آية)

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ ﴾

من أهوال يوم القيامة

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ذُهِبَ بظوئها، وأصل التكوير: لفُّ الشيء على جهة الاستدارة، تقول: كوّرت العمامة، إذا لفتتها، ولفظ ﴿ الشَّمْسُ ﴾ مرفوع على أنه فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده، أي: إذا كورت الشمس كورت؛ لأن ﴿ إِذَا ﴾ يطلب الفعل؛ لما فيه من معنى الشرط.

﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾ تساقطت، ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ عن وجه الأرض وأبعدت، أو سُيِّرَتْ في الجو تسيير السحاب، ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ ﴾ جمع عَشْرَاء، وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر. ﴿ عُطِّلَتْ ﴾ أهملت وتُركت بدون راع يحميها، لاشتغال أصحابها بأنفسهم، ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ جُمعت من كل ناحية، وعن ابن عباس رضي الله عنه حَشَرُهَا: موتها.

﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ أي: مُلئت، وفجر بعضها إلى بعض وصارت بحرًا واحدًا. وقيل: مُلئت نيرانًا؛ لتعذيب أهل النار.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا ﴿﴾

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قرنت كل نفس بشكلها؛ الصالح مع الصالح في الجنة، والطالح مع الطالح في النار، أو قرنت الأرواح بالأجساد، أو نفوس المؤمنين بالحوار العين ونفوس الكافرين بالشياطين.

﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ﴾ المدفونة حية، وكان بعض العرب يتدون البنات؛ خشية الإملاق. ﴿سُئِلَتْ﴾ سؤال الموءودة سؤال تلتف لتقول: بلا ذنب قُتِلْتُ.

أو سؤال توبخ لقاتلها، قال الحسن: أراد الله أن يوبخ قاتلها؛ لأنها قتلت بغير ذنب، أو لتدل على قاتلها. ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ فيه دليل على أن أطفال المشركين لا يُعذَّبون، وعلى أن التعذيب لا يكون بلا ذنب. ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ فُتِحَتْ بعد أن كانت مَطْوِيَّة.

والمراد صحف الأعمال تُطوى عند الموت، وتنشر يوم القيامة، ويجوز أن يُراد نشرت بين أصحابها، أي: فرقت بينهم. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ قال الزجاج: قُلعت كما يقلع السقف.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ أوقدت إيقادًا شديدًا، وتسعيرها: إيقادها بشدة. ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قربت وأذنيت من المتقين، كقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾^(١)، عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهما أنها قرآها، فلما بلغا ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾

(١) سورة ق . الآية: ٣١ .

﴿ أَحْضَرَتْ ١٤ ﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُسِ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنُسِ ١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا
نَفَسَ ١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ ﴿﴾

﴿ أَحْضَرَتْ ﴾ قالوا: لهذا أجريت القصة، فالمعنى على هذا: إذا الشمس كورت
وكانت هذه الأشياء، علمت نفس ما أحضرت من عملها.

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾ أي: كل نفس ﴿ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ من خير وشر، وهذا جواب
﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ وما بعدها.

صدق الوحي القرآني

﴿ فَلَا أَقْسِمُ ﴾ (لا) زائدة لتأكيد القسم، وجواب القسم قوله: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ
رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾.

﴿ بِالْخُنُسِ ﴾ جمع خانسة، وهي التي تخنس، أي تختفي. ﴿ الْجَوَارِ ﴾ الكواكب
السيارة ﴿ الْكُنُسِ ﴾ قال قتادة: هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار، فتخفي
فلا ترى، وعن عليؑ: أنها الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى، وتكنس: - أي
تستتر - فتأوي إلى مجاريها. ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴾ أقبل بظلامه، أو أدبر، فهو من
الأضداد.

﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ﴾ امتد ضوءه، ولما كان إقبال الصبح يلازمه الرّوح والنسيم
جعل ذلك نفسًا له مجازًا، وجواب القسم: ﴿ إِنَّهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ ﴾
أي: جبريلؑ، وإنما أضيف القرآن إليه؛ لأنه هو الذي نزل به ﴿ كَرِيمٍ ﴾ عند
ربه، ﴿ ذِي قُوَّةٍ ﴾ قدرة على ما يكلف؛ لا يعجز عنه ولا يضعف ﴿ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ ﴾
عند الله ﴿ مَكِينٍ ﴾ ذي جاه ومنزلة، وقال: ﴿ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ ﴾ ليدل على عظم
منزلته ومكانته.

﴿مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ﴾ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى
الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾

﴿مُطَاعٌ ثُمَّ﴾ أي: في السماوات يطيعه مَنْ فيها، أو عند ذي العرش - أي: عند الله - يطيعه ملائكته المقربون، يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه ﴿أَمِينٌ﴾ على الوحي.

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما تزعم الكفرة، وهو عطف على جواب القسم ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ رأى محمداً ﷺ جبريل عليه السلام على صورته ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ بمطلع الشمس ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ﴾ ما محمد ﷺ على الوحي ﴿بِضَنِينٍ﴾ ببخيل؛ من الضنِّ وهو البخل؛ أي: لا يبخل بالوحي، كما يبخل الكهَّان رغبة في الحُلوان - وهو ما يُعطاه الكاهن من أجر - بل يعلمه كما علَّم ولا يكتُم منه شيئاً، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: بالطاء، بمعنى مُتَّهَم؛ من الظَّنَّة وهي التهمة، والمعنى: وما محمد ﷺ بمتهم فيما يبلغه عن ربه.

﴿وَمَا هُوَ﴾ وما القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ طريد، وهو كقوله: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ^(١) أي: وليس هذا القرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ بقول شيطان مرجوم مُسْتَرْقٍ للسمع، وإنَّما هو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ جملة معترضة بين ما سبقها، وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، والمقصود بها توبيخهم وتعجيزهم عن أن يأتوا ولو بحجة واحدة يدافعون بها عن أنفسهم؛ وقال الزَّجَّاج: معناه: فأَي طريق

(١) سورة الشعراء . الآية: ٢١٠.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بُينت لكم. وقال الجُنَيْدُ: فأين تذهبون عنا وإن من شيء إلا عندنا؟

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ما القرآن إلا عظة للخلق. ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ بدل من العالمين ﴿أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ أي: القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ الاستقامة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ مالك الخلق أجمعين.

من الأسرار البلاغية

- في قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾ استعارة مَكْنِيَّة؛ لأنه حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو التنفس، حيث شبه الصبح بباشٍ وآتٍ من مسافة بعيدة، وإثبات التنفس قرينة، وإسنادها له تخييل.

- افتتاح السورة بـ ﴿إِذَا﴾ افتتاح مشوق؛ لأنَّها في كلام العرب تستعمل للمقطوع بحصوله.

- في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ توجيه السؤال إلى الموءودة توييح وتخطئة للذي وأدها، وليكون جوابها شهادة على مَنْ وأدها، فيكون استحقاقه العقاب أشدَّ وأظهر.

- في قوله تعالى: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ استفهام تقريرى، وإنَّما سُئِلَتْ عن تعيين الذنب الموجب قتلها دون أن تسأل عن قاتلها؛ لزيادة التهديد.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

- ١- تصوير هول يوم القيامة وبيان علاماتها الدالة على قرب وقوعها.
- ٢- كمال عدله تعالى بين الخلائق.
- ٣- وجوب الإيمان بيوم القيامة والحث على الاستعداد له بالعمل الصالح.
- ٤- حرمة النفس الإنسانية.
- ٥- بيان قدرة الله تعالى المطلقة.
- ٦- بيان شرف القرآن الكريم وعلو منزلته.
- ٧- بيان فضل جبريل عليه السلام.
- ٨- بيان فضل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.
- ٩- مشيئة الله نافذة لا يمكن أن تُعارض أو تُمنع.

الأسئلة

س ١: ما معنى ﴿كُوِّرَتْ﴾؟ وما أصل التكوير؟ وما إعراب ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾؟ وما معنى ﴿أَنكَدَرْتَ - سِيرَتْ﴾؟.

س ٢: ما مفرد ﴿الْعِشَارُ﴾، وما معناها؟ وما المراد بقوله: ﴿عُطِّلَتْ﴾؟ ومَنْ هي ﴿الْمَوءُ دَةٌ﴾؟.

س ٣: لماذا كان العرب يئدون بناتهم؟ وما نوع السؤال؟ وما سببه؟.

س ٤: ما معنى ﴿كُشِطَتْ﴾؟ وما أصل الخنوس؟ وما معنى ﴿عَسَّعَسَ﴾؟.

س ٥: ما المراد بالغيب؟ وما معنى ﴿بِضْنَيْنِ﴾؟ وما الفرق بين قراءة ﴿بِضْنَيْنِ﴾ وقراءة (بظنين)؟.

س ٦: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) افتتاح السورة بـ ﴿إِذَا﴾.

(ب) قوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَنفَسَ﴾.

توجيه السؤال إلى الموءودة.

س ٧: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة.

سورة الانفطار

(مكية وهي: تسع عشرة آية)

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ
بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ
﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾

من أهوال يوم القيامة

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ انشقت ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ تساقطت.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ فُتِحَ بعضها إلى بعض وصارت بحرًا واحدًا ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ
بُعِثَتْ﴾ خرج ما فيها من الموتى مسرعين، وجواب ﴿إِذَا﴾ ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ﴾ أي:
كل نفس؛ برّةً وفاجرة ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ ما عملت من طاعة ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ وتركت
فلم تعمل، أو ما قدمت من الصدقات وما أخرت من الميراث.

تكريم الإنسان

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ قيل: الخطاب لمنكري البعث ﴿مَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾
الَّذِي خَلَقَكَ﴾ أي: أي شيء خدعك حتى ضيّعت ما وجب عليك مع كرم
ربك، حيث أنعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل، وعنه ﷺ حين تلاها، قال:
«غَرَّهُ جِهْلُهُ»^(١). ﴿فَسَوَّدَكَ﴾ فجعلك مستوي الخلق سالم الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ﴾
فصيّرك مُعتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت، فلم يجعل إحدى اليدين أطول
ولا إحدى العينين أوسع، أو جعلك معتدل الخلق تمثلي قائمًا، لا كالبهائم.

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه.

﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ ٨ كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۝ ٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ ١٠ كِرَامًا كُنِينًا ۝ ١١ يَعْمُونَ مَا نَفَعَلُونَ ۝ ١٢ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ ١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ ١٤ ﴾

﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (مَا) مزيدة للتوكيد، أي: رَكَّبَكَ في صورة هي من أبهى الصور وأجملها، ولم تُعطف هذه الجملة كما عُطف ما قبلها؛ لأنها بيان لـ (عدلك).

﴿ كَلَّا ﴾ ردع وزجر عن الاغترار بكرم الله تعالى. ﴿ بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴾ وهو الجزاء، أو دين الإسلام فلا تصدقون ثوابًا ولا عقابًا.

حفظ أعمال الإنسان

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ أي: وإنَّ عليكم ملائكة من صفاتهم أنهم يحفظون أعمالكم وأقوالكم، ويسجلونها عليكم. ﴿ كِرَامًا كُنِينًا ﴾ يعني: أنكم تُكذِّبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم، لتُجازوا بها.

﴿ يَعْمُونَ مَا نَفَعَلُونَ ﴾ لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم، وفي تعظيم الكتابة بالثناء عليهم تعظيمٌ لأمر الجزاء، وأنه عند الله من جلائل الأمور، وفيه إنذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين، وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال: ما أشدَّها من آية على الغافلين.

جزاء الأبرار والفجار

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ أي: إن المؤمنين لفي نعيم الجنة.

﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ أي: وإن الكفار لفي النار.

﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾

﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يدخلونها يوم الجزاء.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ أي: لا يخرجون منها كقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا﴾^(١).

ثمَّ عَظَّمَ شَأْنَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ فكَرَّرَ لِلتَّأْكِيدِ وَالتَّهْوِيلِ.

ثمَّ فَصَّلَ سَبْحَانَهُ جَانِبًا مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي: لا تستطيع دفعًا عنها ولا نفعًا لها، وإنَّما تملك الشفاعة بالإذن. ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ أي: لا أمر إلا لله تعالى وحده فهو القاضي فيه دون غيره. واختتمت السورة الكريمة كما بدئت بالتهويل من شأن يوم القيامة، ليزداد العقلاء استعدادًا له.

من الأسرار البلاغية

- في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ﴾ أسلوب نداء الغرض منه التنبيه، حيث يُشعر بالاهتمام بالكلام والاستدعاء لسماعه، فليس النداء مستعملًا في حقيقته؛ إذ ليس مرادًا به طلب إقبال.

- في قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ استفهام الغرض منه الإنكار والتعجب من الإشراف بالله تعالى.

- في قوله تعالى: ﴿تَكْذِبُونَ بِالَّذِينَ﴾ صيغة المضارع أفادت أن تكذيبهم بالجزاء متجدد لا يقلعون عنه.

(١) سورة المائدة. الآية: ٣٧.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

- ١- عظم يوم القيامة وأهواله.
- ٢- على الإنسان ألا يغره إمهال الله له وحلمه عليه، بل عليه المسارعة في التوبة.
- ٣- امتنان الله على الإنسان حيث جعله في أحسن صورة.
- ٤- وجوب شكر النعمة، فنعم الله تعالى لا تُعدُّ ولا تُحصى.
- ٥- بيان أن القائمين بحقوق الله وحقوق عباده جزاؤهم النعيم.
- ٦- المقصرون في حقوق الله وحقوق عباده جزاؤهم الجحيم.

الأسئلة

- س ١: ما معنى: (أَنْفَطَرْتَ - أَنْثَرْتَ - فُجِرْتَ - بُعِثْتَ - قَدَّمْتَ - أَخَّرْتَ)؟.
- س ٢: ما جواب ﴿إِذَا﴾؟ وما معنى ﴿فَسَوْنَكَ﴾؟ وما معنى ﴿فَعَدَلَك﴾؟
وما نوع ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾؟.
- س ٣: لِمَ لَمْ يُعْطَفْ قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ كما عُطِفَ ما قبله؟.
- س ٤: ما معنى ﴿كَلَّا﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، ﴿وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾؟.
- س ٥: ما ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾؟ وما معنى ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾؟ وما فائدة تكرار
﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾؟ وما معنى ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾؟.
- س ٦: وضح السر البلاغي فيما يأتي:
- (أ) قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ﴾.
- (ب) قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.
- (ج) قوله تعالى: ﴿تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ بصيغة المضارع.
- س ٧: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة.

سورة المطففين

(مَكِّيَّةٌ وَهِيَ: سِتُّ وَثَلَاثُونَ آيَةً)

﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ

يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾

وعيد المطففين

﴿وَبَلِّغْ﴾ لفظ دالٌّ على الهلاك والعذاب، وهو مبتدأ خبره ﴿لِلْمُطَفِّينَ﴾ جمع مطفّف، والتطفيف: الإنقاص في المكيال أو الميزان، والمراد الذين يخسون حقوق الناس في الكيل والوزن.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ أي إذا أخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة، ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرُّهم، ويتحامل فيه عليهم، أبدل ﴿عَلَى﴾ مكان (من)؛ للدلالة على ذلك.

ويجوز أن يتعلق ﴿عَلَى﴾ بـ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾، ويُقدّم المفعول على الفعل لإفادة الاختصاص، أي: يستوفون على الناس خاصة، والضمير المنصوب في ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ راجع إلى الناس، أي: كالوا لهم أو وزنوا لهم، فحذف الجار وأوصل الفعل، ويحتمل أن المطففين كانوا لا يأخذون ما يُكال ويوزن إلا بالمكاييل، لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة. ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون، يُقال: خسر الميزان وأخسره.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا ﴿٧﴾ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ أدخل همزة الاستفهام على (لا) النافية توبيخاً، وليست ﴿أَلَا﴾ هذه للتنبيه، وفيه إنكار وتعجيب من حالهم في الاجترار على التطفيف، كأنهم لا يخطر ببالهم ولا يَحْمَنُونَ تخميناً أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ. ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة، فهم مُحَاسِبُونَ على مقدار الذرة، وعن عبد الملك بن مروان أَنَّ أعرابياً قال له: لقد سمعت ما قال الله في المطففين فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ نُصِبَ بـ ﴿مَبْعُوثُونَ﴾ ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأمره وجزائه، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّهُ قرأ هذه السورة، فلما بلغ هنا بكى نحيباً^(١) وامتنع من قراءة ما بعده.

جزاء الفجار

﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبية، أي: ردع لهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب، وتنبية لهم على أَنَّهُ مَّا يَجِبُ أَن يُتَابَ عَنْهُ وَيُنْدَمَ عَلَيْهِ. ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم فقال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ﴾ صحائف أعمالهم.

﴿لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ كتاب جامع، هو ديوان الشر، دُونَ الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والإنس، وسمي سجينةً فِعْيَالاً من السجن وهو الحبس والتضييق؛ لَأَنَّهُ سَبَبُ الْحَبْسِ وَالتَّضْيِيقِ فِي جَهَنَّمَ، أَوْ لِأَنَّهُ مطروح تحت الأرض السابعة في مكان مظلم.

(١) أي بكاء شديداً من النحب وهو أشد البكاء.

﴿ كُنِبٌ مَّرْقُومٌ ﴾ ٩ ﴿ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ١٠ ﴿ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ ١١ ﴿ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ ١٢ ﴿ إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ١٣ ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ١٤ ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَّحْجُوبُونَ ﴾ ١٥ ﴿

﴿ كُنِبٌ مَّرْقُومٌ ﴾ يَبِّئُ الْكِتَابَةَ، أَوْ مُعَلِّمٌ يَعْلَمُ مَنْ رَأَاهُ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِ.

﴿ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ لِأَوْلَئِكَ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ يَوْمَ يُخْرَجُ

الْمَكْتُوبُ.

﴿ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ الْجِزَاءُ وَالْحِسَابُ.

﴿ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ ﴾ بِذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ ﴾ مَجَاوِزٌ لِلْحَدِّ. ﴿ أَثِيمٍ ﴾ مَكْتَسِبٌ

لِلْإِثْمِ.

﴿ إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا ﴾ أَي: الْقُرْآنُ ﴿ قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أَي أَحَادِيثُ الْمُتَقَدِّمِينَ.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿ أَسْطِيرُ ﴾: أَبَاطِيلٌ، وَاحِدُهَا أُسْطُورَةٌ؛ مِثْلُ أَحَدُوثةٍ وَأَحَادِيثٍ.

﴿ كَلَّا ﴾ رَدَعٌ لِلْمُعْتَدِيِ الْأَثِيمِ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ ﴿ بَلْ ﴾ نَفْيٌ لِمَا قَالُوا ﴿ رَانَ عَلَى

قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ غَطَّاهَا كَسْبُهُمْ؛ أَي: غَلَبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ حَتَّى غَمَّرَهَا مَا

كَانُوا يَكْسِبُونَ مِنَ الْمَعَاصِي.

قَالَ الْحَسَنُ: الران هو الذنب بعد الذنب حتى يَسْوَدَّ الْقَلْبُ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: الرَّيْنُ مَوْتُ الْقَلْبِ.

﴿ كَلَّا ﴾ رَدَعٌ عَنِ الْكَسْبِ الرَّائِنِ عَلَى الْقَلْبِ ﴿ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ ﴾ عَنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّمَّحْجُوبُونَ ﴾ لِمَنْعُوعُونَ.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي
عَلَيِّنَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَ ﴿١٩﴾

قال الزجاج: في الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم، وإلا لا يكون
التخصيص مفيداً.

وقال الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيد حجبهم في الآخرة
عن رؤيته.

وقال مالك بن أنس: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلّى لأوليائه حتى رأوه.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: هذا العذاب هو الذي كنتم تكذبون به

في الدنيا وتتكرون وقوعه.

من جزاء الأبرار

﴿كَلَّا﴾ ردع عن التكذيب ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ ما كُتِبَ من أعمالهم، والأبرار:

المطيعون الذين لا يطففون الميزان ويؤمنون بالبعث؛ قال الحسن: البرُّ الذي لا
يؤذي الذرَّ ﴿لَفِي عَلَيِّنَ﴾ هو عَلمٌ لديوان الخير الذي دُونَ فيه كلُّ ما عملته
الملائكة، وصالحو الإنس والجن.

وأصل ﴿عَلَيِّنَ﴾ من العلو: سُمي به؛ لأنَّه سبب الارتفاع إلى أعالي

الدرجات في الجنة، أو لأنَّه مرفوع في السماء السابعة تكريمًا له.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ ما الذي أعلمك يا محمد ﷺ ﴿مَا عَلَيْنَ﴾ أي شيء هو؟

﴿ كُنْبٌ مَرْفُومٌ ﴾^(٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ
فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ
فَلْيَتَنَفَّسِ الْمُنتَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِنَ التَّسْنِيمِ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ ﴿٢٨﴾

﴿ كُنْبٌ مَرْفُومٌ ﴾ كتاب الأبرار كتاب واضح بيّن. ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ ﴾ تحضره الملائكة.
﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ تُنعم في الجنان، ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ الأسيرة ﴿ يُنظَرُونَ ﴾ إلى
كرامة الله ونعمه، وإلى أعدائهم كيف يُعذَّبون، ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾
بهجة التنعم، ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ ﴾ شراب خالص لا غش فيه.
﴿ مَخْتُومٌ ﴾ مسدود لم تمسه يد قبل أيدي هؤلاء الأبرار.

﴿ خَتَمُهُ مِسْكٌ ﴾ تُختم أوانيها بمسك بدل الطين الذي يُختم به الشراب
في الدنيا، أمر الله تعالى بالختم عليه إكراما لأصحابه، أو ختامه مسك أي:
مقطعه^(١) رائحة مسك، أي: توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه ﴿ وَفِي ذَلِكَ ﴾
الرحيق أو النعيم ﴿ فَلْيَتَنَفَّسِ الْمُنتَفِسُونَ ﴾ فليرغب الراغبون، وذلك إنما يكون
بالمسارعة إلى الخيرات والانتهاز عن السيئات.

﴿ وَمِزَاجُهُ ﴾ ومزاج الرحيق ﴿ مِنَ التَّسْنِيمِ ﴾ هو عَلمٌ لِعَيْنٍ بعينها، سميت
بالتسنيم لأنها أرفع شراب في الجنة، أو لأنها تأتيهم من فوق وتُنصبُّ في أوانيهم.
﴿ عَيْنًا ﴾ حال، أو نُصب على المدح ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ أي: منها ﴿ الْمُقْرَبُونَ ﴾
عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما يشربها المقربون خالصةً وتُزج لأصحاب
اليمين.

(١) مقطع كل شيء: متناه، الصحاح.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ٣١ ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ ٣٠
 ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ ٣١ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ ٣٢
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ﴾ ٣٣ ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ٣٤ ﴿عَلَىٰ الْأَرَآئِكِ
 يَنْظُرُونَ﴾ ٣٥ ﴿هَلْ تُؤَبُّونَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

الجزاء من جنس العمل

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ كفروا ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ في الدنيا
 استهزاء بهم ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ يشير بعضهم إلى بعضٍ بِالْعَيْنِ طعناً
 فيهم وعبياً لهم.

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ أي: إذا رجع الكفار إلى منازلهم ﴿انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾
 متلذذين بذكرهم والسخرية منهم، وقرأ غير حفص (فاكهين) أي فرحين.
 ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ وإذا رأى الكافرون المؤمنين ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾
 أي: خدع محمد ﷺ هؤلاء فَضَلُّوا وتركوا اللذات، لما يرجونه في الآخرة من
 الكرامات، فقد تركوا الحقيقة بالخيال، وهذا هو عين الضلال.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ وما أرسل الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَفِظِينَ﴾
 يحفظون عليهم أحوالهم ويرقبون أعمالهم، بل أمروا بإصلاح أنفسهم، فاشتغالهم
 بذلك أولى بهم من تَتَّبِعُ غيرهم وتسفيه أحلامهم.

﴿فَالْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ بسبب استهزاء
 الذين أجرموا من المؤمنين في الدنيا، كافأ الله تعالى المؤمنين على صبرهم،
 فجعلهم يوم القيامة يضحكون من الكفار حين يرونهم أذلاء مهانين، كما كان
 الكفار يضحكون من المؤمنين في الدنيا.

﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ﴾ في محل نصب على الحال، أي: يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان بعد العزة والاستكبار وهم على الأرائك آمنون، وقيل: يُفتح للكفار باب إلى الجنة، فيقال لهم: هَلُمُّوا إلى الجنة، فإذا وصلوا إليها، أُغلق دونهم، فيضحك المؤمنون منهم.

﴿هَلْ تُؤَبِّبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ هل جُوزوا بسخريتهم بالمؤمنين في الدنيا إذا فعل بهم ما ذكر.

من الأسرار البلاغية

- في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ استئناف ناشئ عن الوعيد والتقريع لهم بالويل على التطفيف.

- في قوله تعالى: ﴿يَقَوْمُ النَّاسِ﴾ التعبير بالمضارع لاستحضار الحال.

- في قوله تعالى: ﴿خَتَمَهُ مَسْكٌ﴾ تشبيه بليغ، أي كالمسك في الطيب والبهجة، فحذف منه الأداة ووجه الشبه، فأصبح بليغا.

- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَقِيَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ توبيخ ولوم لزيادة تعذيبهم، وهو ما ينتظره كل من عاند.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

١- الوعيد الشديد للذين يخسون الناس بالمكياال والميزان، أو لمن يأخذ أموال غيره عنوة أو سرقة.

٢- الإيذان بالبعث والجزاء رادع للإنسان عن المعاصي والسيئات.

٣- إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

- ٤- الأبرار هم أهل الجنة ومكانهم في أعلى الجنان.
 ٥- الحث على التسابق و المبادرة إلى الله بالأعمال الصالحة.
 ٦- الجزاء من جنس العمل.

الأسئلة

- س ١: ما الويل؟ وما إعرابه؟ وما معنى ﴿لِلْمُطْفِفِينَ﴾؟ وما المراد بقوله تعالى:
 ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾؟
 س ٢: لمْ أبدل (على) مكان (إلى) في قوله تعالى: ﴿إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾؟
 ولمْ قدم المفعول على الفعل؟
 س ٣: ما الغرض من ﴿كَلَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾؟
 وما المراد بها؟ وما معنى ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ﴾؟ وما معنى ﴿سِجِّينٍ﴾؟ ولم
 سُمى بذلك؟ وما معنى ﴿مَرْفُومٌ﴾؟
 س ٤: ما معنى (رَانَ - عَن رَّبِّهِمْ - يَوْمَئِذٍ لِّمَحْجُوبُونَ)؟ وعلام استدلال الزَّجَّاج
 بقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لِّمَحْجُوبُونَ﴾؟
 س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:
 (أ) قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾.
 (ب) قوله تعالى: ﴿خَتَمَهُ، مِسْكٌ﴾.
 (ج) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.
 س ٦: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الانشقاق

(مكية وهي: خمس وعشرون آية)

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ﴾

أهوال يوم القيامة وانقسام الناس فريقين

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ تصدّعت، وتشقّقت، ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ سمّعت وأطاعت وأجابت ربّها إلى الانشقاق، ولم تأب، ولم تمتنع، ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: وحقّ لها أن تسمع وتطيع لأمر الله؛ إذ هي مصنوعةٌ مربوبةٌ لله تعالى، ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ بسطت وسوّيت بانديكاج جبالها، وكلّ مُرتفع فيها. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي: أخرجت ما في جوفها من الكُنُوز والموتى. ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ وَخَلَّتْ غاية الخلوّ، حتى لم يبق شيءٌ في باطنها، كأنّها تكلّفت أقصى جهدها في الخلوّ، يقال: تكرّم الكريم: إذا بلغ جهده في الكرم، وتكلّف فوق ما في طبعه. ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ في إلقاء ما في بطنها وتخليها ﴿وَحُقَّتْ﴾ وهي حقيقةٌ بأنّ تنقاد ولا تمتنع.

وحذف جواب ﴿إِذَا﴾؛ ليذهب المُقدّر في تقديره كلّ مذهب، أو أنّه محذوفٌ، اكتفاءً بذكره في سور أخرى؛ مثل: سورة التّكوير، حيث جاء الجواب في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾، وسورة الانفطار؛ حيث جاء الجواب في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، أو جوابه ما دلّ عليه قوله ﴿فَمَلَقِيهِ﴾، أي: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ لاقى الإنسان كذّحه، ﴿يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ﴾ خطاب

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ ٦ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ٧ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ٨ ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ٩ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ ١٠ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ ١١ ﴿وَيَصَلِّي سَعِيرًا﴾ ١٢ ﴿

للجنس، ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾، ﴿فَمُلْقِيهِ﴾ الضمير يعود على الكدح، وهو جَهْد النَّفْسِ فِي الْعَمَلِ، والكُدُّ فيه، حتى يؤثر فيها.

والمراد: جزاء الكدح إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ.

وقيل: لقاء الكدح: لقاء كتابٍ فيه ذلك الكدح، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ أي: كتابَ عمله. ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ سهلاً هيناً، وهو: أن يجازى على الحسنات، ويتجاوز عن السيئات، وفي الحديث: «من يُحَاسَبُ يُعَذَّبُ، فقيل: فأين قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قال: ذلكم العَرَضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُدِّبَ»^(١)، ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين، أو إلى فريق المؤمنين عامة، أو ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ في الجنة من الحور العين. ﴿مَسْرُورًا﴾ فَرِحًا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ﴾

قيل: تُعَلُّ يُمْنَاهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، وَتُجْعَلُ شِمَالُهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ، فَيُؤْتَىٰ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ مِنْ وِرَاءِ ظَهْرِهِ.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ يقول: يَا ثُبُورَاهُ! وَالثُّبُورُ: الْهَلَاكُ. ﴿وَيَصَلِّي سَعِيرًا﴾ أي: يدخل جهنم.

(١) متفق عليه.

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَّغَ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ
بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿فِي أَهْلِهِ﴾ ﴿مَعَهُمْ﴾ ﴿مَسْرُورًا﴾ بالكفر، يضحك ممن آمن
بالبعث.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ لن يرجع إلى ربه؛ تكذيباً بالبعث، فالْحَوْرُ معناه الرجوع.
﴿بَلَّغَ﴾ إيجابٌ لما بعد النفي في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَحُورَ﴾ أي: بلى لِيَحُورَنَّ.
﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ﴾ وبأعماله ﴿بَصِيرًا﴾ لا تخفى عليه، فلا بدَّ أَنْ يُرْجِعَهُ وَيُجَازِيَهُ
عليها.

وقوع القيامة وما يتبعها من الأهوال

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ فأقسم بالبياض بعد الحمرة، أو الحمرة، وهي التي تظهر
في أفق السماء قبل طلوع الشمس، وبعد غروبها.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ جمع وضمّ من الظلمة والنجم، أو ما عمل فيه من طاعة
للّه تعالى كالتّهجد وغيره. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ اجتمع وصار بدرًا، على وزن
افتعل، من الوسق. ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الإنسان، على إرادة الجنس ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾
حالا بعد حال، كُلاً واحداً مطابقة لأختها في الشدة والهول، والطَّبَق: ما طابق
غيره، يقال: ما هذا بطَبَقٍ لذا، أي: لا يُطابقه، ومنه قيل للغطاء: الطبق.

ويجوز أن يكون جمع طبقة، وهي المرتبة، من قولهم: هو على طبقات، أي:
لَتَرْكَبُنَّ أحوالاً بعد أحوال؛ هي طبقات في الشدة، بعضها أرفع من بعض، وهي
الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿عَنْ طَبَقٍ﴾ في محل نصب صفة لقوله تعالى: ﴿طَبَقًا﴾، أي:
﴿طَبَقًا﴾ مجاوزًا للطبق.

ويجوز أن يكون حالًا من الضمير في ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾، أي: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا﴾
مجاوزين لطبق.

وقرأ ابن كثير وَحَمْزَةً وَالْكَسَائِي (لتركبن) بفتح الباء، وعليه يكون الخطاب
للنبي ﷺ، أي: ﴿طَبَقًا﴾ من أطباق السَّاء بعد ﴿طَبَقٍ﴾ أي: في المعراج.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فما لهم في ألا يؤمنوا؟! ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا
يَسْجُدُونَ﴾ لا يخضعون.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث والقرآن.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ بما يجمعون في صدورهم، ويُضمِّرون من الكُفْر،
وتكذيب النبي ﷺ، أو: بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدَّخرون
لأنفسهم من أنواع العذاب، ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أخبرهم خبرًا يظهر أثره
على بشرتهم حُزنًا وهمًا.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استثناءٌ مُنْقَطِعٌ، وهو: الذي يكون فيه
المُسْتَثْنَى من غير جنسِ المُسْتَثْنَى منه، ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غيرُ مقطوع، أو: غير
منقوص، والله أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- السَّاءُ والأَرْضُ بينهما طباق.

- بين قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ مقابلة.

- في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ كناية عن الشدة والأهوال التي يتعرض لها الإنسان.

- في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أسلوب تهكمي، ففي استعمال البشارة في موضع الإنذار تهكم وسخرية بالكفار.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١- السَّاءُ والأَرْضُ من آيات الله التي لا تخرج عن طاعته والخضوع لأمره.
- ٢- الإنسان مُلاقٍ جزاء عمله، إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ.
- ٣- يأخذ المؤمن كتاب أعماله بيمينه، فيسْهُلُ عليه الحساب.
- ٤- يندم الكافر عندما يأخذ كتاب أعماله بشماله، فيدعو على نفسه بالهلاك والدمار.
- ٥- البعث حقيقة لا يُنكرها إلا الجاهلون.
- ٦- الله مُطَّلَعٌ على أعمالنا، ولا يخفى عليه شيء من أحوالنا.
- ٧- كان يلزم المشركين بعد رؤيتهم الدلائل على صدق النبي ﷺ أن يؤمنوا به ويتبعوه.
- ٨- لأهل الإيمان في الجنة نعيمٌ لا ينقطع أبدًا.

الأسئلة

س ١: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾؟ وما معنى: ﴿وَحُقَّتْ﴾؟ وما معنى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾؟ ومن أي شيء تخلت؟ وما جواب ﴿إِذَا﴾؟ ولماذا قُدِّرَ جواب ﴿إِذَا﴾؟

س ٢: ما الكدح؟ وما معنى ﴿يَدْعُوا بُورًا﴾، ثم وضح المراد بالشفق وما معنى: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾؟ وما نوع ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾؟

س ٣: ما المراد من اتساق القمر؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾؟ وما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟ وما المراد بالسجود؟ وما معنى ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾؟

س ٤: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

س ٥: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة البروج

(مكية وهي: اثنتان وعشرون آية)

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَضْحَبُ
الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾﴾

القسم على لعنة أصحاب الأخدود

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ هي البروج الاثنا عشر، وقيل: النجوم، أو أعظم الكواكب ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ أي: ﴿وَشَاهِدٍ﴾ في ذلك اليوم، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ فيه، والمراد بالشاهد: مَنْ يشهد فيه من الخلائق كُلِّهِمْ، وبالمشهود فيه: ما في ذلك اليوم من عجائبه، وقد كثرت أقوال المفسرين في الشاهد والمشهود، فقيل: الشاهد سيدنا محمد ﷺ، والمشهود: يوم القيامة، وقيل: عيسى ﷺ وأُمَّته؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾^(١).

وقيل: أمة النبي ﷺ، والمشهود: سائر الأمم، أو الحجر الأسود والحجيج، أو الأيام والليالي وبنو آدم، أو الحفظة وبنو آدم، أو الله تعالى والخلق؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(٢)، أو الأنبياء وسيدنا محمد ﷺ.

وجواب القسم المتقدم في الآيات محذوف، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿قِيلَ أَضْحَبُ الْأَخْدُودِ﴾، أي: لُعِينَ؛ كأنه أقسم بهذه الأشياء أنهم ملعونون - يعني: كفار قريش - كما لُعِنَ أصحاب الأخدود، وهو جمع خَدٍّ، أي: شَقٌّ عَظِيمٌ في الأرض.

(١) سورة المائدة . الآية: ١١٧ .

(٢) سورة النساء . الآية: ٧٩ .

قصة أصحاب الأُخدود

أخبر النبي ﷺ أنه كان لبعض الملوك ساحر، فلما كَبُرَ ضَمَّ إليه غلامًا؛ ليعلمه السحر، وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه، وفي يوم رأى الغلام في طريقه دابةً قد حبست الناس، فأخذ حجرًا وقال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ الرَّاهِبُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ السَّاحِرِ فَاقْتُلْهَا، فقتلها، فكان الغلام بعد ذلك يُبرئ الأكمه - وهو الذي وُلِدَ كفيفًا - ويعالج الأبرص بإذن الله.

وكان للملك جليسٌ أصابه العمى فأبرأه الغلام، فلما رأى الملكُ جليسه قد أَبْصَرَ سَأَلَهُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قال: ربي، فغضب الملكُ وَعَدَّ بِجَلِيْسِهِ، فَدَلَّه على الغلام فعذبه، فدَلَّ الغلامُ على الرَّاهِبِ فلم يرجع الرَّاهِبُ عن دينه حتى فلقوه بالمنشار، ثُمَّ أَتَوْا بِالْغِلامِ فَأَبَى أَنْ يترك دينه، وحاولوا قتله فذهبوا به إلى جبلٍ لِيُطْرَحَ مِنْ قَمْتِهِ، فدعا وارْتَجَفَ الجبلُ بالقوم فطاحوا جميعًا ونجا، فذهبوا به إلى سفينة في البحر ليغرقوه، فدعا فانكفأت بهم السفينة وغرقوا جميعًا ونجا، ثُمَّ قال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع، وتأخذ من كِنَانَتِي سَهْمًا وتقول: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغِلامِ، ثم ترميني به، ففعل الملكُ ومات الغلام، فلما رآه النَّاسُ قالوا جميعًا: آمَنَّا بِرَبِّ الْغِلامِ.

فقيل للملك: نزل بك ما كنت تحذر، فخذ أُخْدودًا واملأها نارًا، فمن لم يرجع عن دينه اطرحه فيها، حتى جاءت امرأة معها صبي، فخافت أن تقع فيها، فقال الصبي: يا أمَّاه اصبري فإنك على الحق، فألقي الصبي وأُمَّهُ فِيهَا^(١).

(١) هذه القصة رواها مسلم وغيره.

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ ٥ إِذْ هُرِّعَتْهَا فَعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾

﴿النَّارِ﴾ بدل اشتغال من ﴿الأخدود﴾، ﴿ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ وصف لها بأنها نارٌ عظيمة، لها ما يرتفع به هبها من الحطب الكثير وأبدان الناس.
﴿إِذْ﴾ ظرف لقوله: ﴿قِيلَ﴾، أي: لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها.
﴿هُرِّعَتْهَا﴾ أي الكفار على ما يدنو منها من حافات الأخدود ﴿فَعُودٌ﴾
جلوس على الكراسي.

﴿وَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ من الإحراق ﴿شُهُودٌ﴾ يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحداً منهم لم يفرط فيما أمر به، وفوض إليه من التعذيب.

وفيه حث للمؤمنين على الصبر، وتحمل أذى أهل مكة.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان.

﴿بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ذكر الأوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به، وهو كونه: عزيزاً، غالباً، قادراً يُخشى عقابه، حميداً، مُنعماً، يجب له الحمد على نعمته، ويرجى ثوابه ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

فكل من فيها يحق عليه عبادته، والخشوع له؛ تقريراً؛ لأن ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل، وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعدابٍ عظيم.
﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وعيد لهم، يعني: أنه علم ما فعلوا، وهو مجازيهم عليه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ يجوز أن يريد بالذين فتنوا: أصحاب الأُخُدود خاصة، وبالذين آمنوا: المطروحين في الأُخُدود، ومعنى فتنوهم: عذبوهم بالنار، وأحرقوهم.

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ لم يرجعوا عن كفرهم ﴿فَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ في الدنيا؛ لما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم. ويجوز أن يريد: بالذين فتنوا المؤمنين، أي: بلوهم بالأذى على العموم، وأن للفتنين عذابين في الآخرة؛ لكفرهم ولفتنتهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ أي: الذين صبروا على تعذيب الأُخُدود، أو هو أعم، والمراد: بيان أخذ الظلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام.

كمال القدرة الإلهية

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش: الأخذ بالعنف، فإذا وُصف بالشدة فقد تَضاعف وتفاقم، والمراد: بيان أخذ الظلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام. ﴿إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي: يخلقهم ابتداءً، ثم يُعيدهم بعد أن صيرهم ترابًا، دَلَّ باقتداره على الإبداء والإعادة على شدة بطشه، أو: أوعد الكفرة بأنه يُعيدهم كما بدأهم؛ ليطش بهم؛ إذ لم يشكروا نعمة الإبداء، وكذبوا بالإعادة.

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ ١٤ ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ ١٥ ﴿ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴾ ١٦ ﴿ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ ١٧ ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ ١٨ ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴾ ١٩ ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ ٢٠ ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴾ ٢١ ﴿ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ ٢٢ ﴿

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ ﴾ السّاتر للعيوب، العافي عن الذنوب ﴿ الْوَدُودُ ﴾ المحبُّ لأوليائه.

وقيل: الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من إعطائهم ما أرادوا.

﴿ ذُو الْعَرْشِ ﴾ خالقه ومالكة ﴿ الْمَجِيدُ ﴾ وهناك قراءة بالجر، وهي قراءة حمزة والكسائي، على أنّه صفة للعرش، ومجد الله: عظّمته، ومجد العرش: علّوه وعظّمته.

﴿ فَعَالَ ﴾ خبرٌ لمبتدأ محذوف، ﴿ لِمَا يُرِيدُ ﴾ تكوينه.

﴿ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ خبر الجُمُوع الطّاغية في الأمم الخالية، ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ بدلٌ من الجنود، وأراد بفرعون: إياه وقومه معه، والمعنى: قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرّسل، وما نزل بهم لتكذيبهم.

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من قومك ﴿ فِي تَكْذِيبٍ ﴾ واستحقاق للعذاب، ولا يعتبرون بالجنود، لا لخفاء حال الجنود عليهم، لكن يكذبونك عنادًا.

﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ عالمٌ بأحوالهم، وقادرٌ عليهم، وهم لا يُعجزونه.

﴿ بَلْ هُوَ ﴾ هذا الذي كذبوا به ﴿ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴾ شريفٌ، عالي الطّبقة في الكُتب، وفي نظمه، وإعجازه، وليس كما يزعمون: أنّه مُفترى، وأنّه أساطير الأولين.

﴿ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ من وصول الشّياطين، وفي قراءة نافع (محفوظٌ) بالرفع على أنّه صفة للقرآن، أي: محفوظٌ من التّغيير والتّبديل.

من الأسرار البلاغية:

- جاء قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ بطريق التَّنْكِير؛ ليدل على كثرة الشَّاهد والمشهود يوم القيامة، أو ليدلَّ على إبهام الشَّاهد والمشهود، حيث لا يعلم أحدٌ وصفها.

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أورد الخبر الإنكاري خبر مؤكَّد بيان واللام، للدلالة على شدة عقابه تعالى لمن أنكر الرسالة.

- في قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ مجاز مرسل علاقته الحالية؛ لأن التَّكْذِيب معنى من المعاني ولا يحل الإنسان فيه.

- في قوله: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ شَبَّهَ عِلْمَ اللَّهِ بأحوالهم، وقدرته عليهم، مع كونهم لا يفوتونه، بالشيء الذي يحيط به صاحبه، فلا يمكن أن يفوته.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١- إظهار عظمة الله وجليل صفاته.
- ٢- أَنَّ اللَّهَ تعالى يُهلك الأمم الطاغية في كل حين، ولا سيما الذين يفتنون المؤمنين.
- ٣- أعدَّ الله للمؤمنين الصابرين أجرًا عظيمًا جزاء ما لاقوه في الدنيا.
- ٤- ينبغي الاعتبار بمصير الأمم السابقة المكذبة لرسولهم.
- ٥- تكفَّلَ اللهُ تعالى بحفظ القرآن من التبديل والتغيير والتحريف.

الأسئلة

س ١: ما المراد بالبروج؟ وما وجه وصف السماء بها؟ وما المراد باليوم الموعود؟ ومَنْ المراد بالشاهد والمشهود؟ وماذا أفاد تنكيرهما؟ وما جواب القسم؟.

س ٢: مَنْ المراد بأصحاب الأخدود؟ وما قصتهم؟ وما الأخدود؟ وما إعراب ﴿النَّارِ﴾؟ وكيف كان قعودهم على النار؟ وماذا فعلوا بالمؤمنين؟.

س ٣: ما معنى الفتن؟ وهل المراد بعذاب الحريق عذاب الدنيا أم الآخرة؟ وما هو البطش؟ وما فائدة وصفه بالشدة؟ ولمن هذا البطش؟.

س ٤: ما المراد من قوله تعالى: ﴿شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾؟ وما إعراب ﴿شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾؟ وما معنى ﴿هَلْ أَنْتَ﴾؟ وما المراد بالحديث؟ وبالجنود؟ وما مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾؟ وما وجه وصف القرآن بالمجيد؟

س ٥: وضح السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

س ٦: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الطارق

(مكية وهي: سبع عشرة آية)

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا

حَافِظٌ ﴿٤﴾

على كل نفس حافظ

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ عَظَّمَ اللَّهُ قَدْرَ السَّمَاءِ

في أعين الخلق؛ لكونها مصدر رزقهم، ومسكن ملائكته، وفيها خلق الجنة، فأقسم بها وبالطارق، والمراد بالطارق: جنس النجوم، أو: جنس الشهب التي يُرجم بها، لعظم منفعتها، ثم وصفه بالثاقب، أي: المضيء، كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، ووصف بالطارق؛ لأنه يبدو بالليل، كما يقال للآتي ليلاً: طارق.

أو: لأنه يطرق الجنى؛ أي: يصكّه، وجواب القسم ﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾؛

لأن ﴿ لَمَّا ﴾ إن كانت مشددة بمعنى (إلا)، - كقراءة عاصم، وحزمة، وابن عامر -، فتكون ﴿ إن ﴾ نافية، أي: ما ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ إلا ﴿ عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾.

وإن كانت مخففة (لما) كقراءة غيرهم، فتكون ﴿ إن ﴾ مخففة من الثقيلة، أي:

﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ ﴾ لعلها ﴿ حَافِظٌ ﴾ يحفظها من الآفات، أو يحفظ عملها ورزقها

وأجلها، فإذا استوفى ذلك مات.

وقيل: الحافظ: هو كاتب الأعمال.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَآلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾

و﴿حَافِظٌ﴾ مبتدأ و﴿عَلَيْهَا﴾ الخبر، والجملة خبر ﴿كُلُّ﴾، وأيتها كانت (إن) المخففة أو النافية، فالجملة مما يتلقى به القسم.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ لما ذكر أن على كل نفس حافظاً أمره بالنظر في أول أمره؛ ليعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه، فيعمل ليوم الجزاء، ولا يُملي على حافظه إلا ما يسرُّه في عاقبته.

و﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ استفهام، أي: من أي شيء خُلِقَ؟ جوابه: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ الدَّفْقُ: صَبٌّ فِيهِ دَفْعٌ، وعن بعض أهل اللغة: دَفَقْتُ الْمَاءَ دَفْقًا: صَبَبْتَهُ، ودَفَقَ الْمَاءُ بِنَفْسِهِ؛ أَي: انْصَبَّ.

ولم يقل: من مائين؛ لامتزاجهما في الرَّحْمِ واتحادهما حين ابتدئ في خلقه ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ مِنْ بَيْنِ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ، وَهِيَ عِظَامُ الصَّدْرِ حَيْثُ تَكُونُ الْقَلَادَةُ، وَقِيلَ: الْعِظْمُ وَالْعَصَبُ مِنَ الرَّجُلِ، وَاللَّحْمُ وَالِدَّمُ مِنَ الْمَرْأَةِ. ﴿إِنَّهُ﴾ إِنَّ الْخَالِقَ؛ لِدَلَالَةِ ﴿خُلِقَ﴾ عَلَيْهِ، وَمَعْنَاهُ: إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ ابْتِدَاءً مِنْ نَظْفَةٍ ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ عَلَى إِعَادَتِهِ خُصُوصًا ﴿لِقَادِرٍ﴾ لِبَيِّنِ الْقُدْرَةِ لَا يَعْبُزُ عَنْهُ، كَقَوْلِهِ: إِنَّنِي لِقَادِرٌ، وَنُصِبَ ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾ بِرَجْعِهِ، أَي: تُكْشَفُ، أَوْ بِمُضْمَرٍ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﴿رَجْعِهِ﴾: أَي: مَبْعُثُهُ يَوْمَ تُبْلَى ﴿السَّرَائِرِ﴾ مَا أُسْرِيَ فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ، وَمَا أُخْفِيَ مِنَ الْأَعْمَالِ.

﴿فَآلَهُ﴾ فَمَا لِلْإِنْسَانِ ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ فِي نَفْسِهِ عَلَى دَفْعِ مَا حَلَّ بِهِ ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يُعِينُهُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ.

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْمَهُمْ رُويًا ﴿١٧﴾﴾

القسم على صدق القرآن

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ أي: المطر، وسُمِّيَ به لعوده كُلِّ حين.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ هو ما تتصدَّع عنه الأرض من النبات.

﴿إِنَّهُ﴾ إِنَّ الْقُرْآنَ ﴿لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ فاصلٌ بين الحق والباطل، كما قيل له: فُرْقَانٌ ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ باللعب والباطل، يعني: أَنَّهُ جَدُّ كُلُّهُ، وَمِنْ حَقِّهِ وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَهِيئًا فِي الصُّدُورِ، مُعْظَمًا فِي الْقُلُوبِ، يَرْتَفِعُ بِهِ قَارِئُهُ وَسَامِعُهُ أَنْ يَلْمَ بِهِزَلٍ، أَوْ يَتَفَكَّهُ بِمُزَاحٍ.

﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني مشركي مكة ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعملون المكايد لإبطال أمر الله، وإطفاء نور الحق.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ وأجازيهم جزاءً كيدهم باستدراجي لهم من حيث لا يعلمون، فسُمِّيَ جزاء الكيد كيدًا؛ كما سُمِّيَ جزاء الاعتداء اعتداءً وجزاء السيئة سيئةً، وإن لم يكن اعتداءً وسيئةً، ولا يجوز إطلاق هذا الوصف على الله تعالى إلا على وجه الجزاء؛ كقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٣).

﴿فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تدعُ بهلاكهم، ولا تستعجل به ﴿أَهْمَهُمْ﴾ أنظرهم ﴿رُويًا﴾ إمهالًا يسيرًا، ولا يتكلم بها إلا مُصَغَّرَةً، وهي مِنْ رَادَتِ الرِّيحُ، تَرُودُ رُودًا: تحرَّكت حركةً ضعيفةً.

(١) سورة التوبة . الآية: ٦٧ .

(٢) سورة النساء . الآية: ١٤٢ .

(٣) سورة البقرة . الآية: ١٥ .

من الأسرار البلاغية

- في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ مجاز عقلي، وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي، وهنا أسند الدَّفَقَ إلى الماء، والذي يَدْفُق الماء في الحقيقة هو الرجل، والماء مدفوق لا دافق، والعلاقة هنا المفعولية.

- في قوله تعالى: ﴿الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ طباق؛ حيث طابق بين عَظْم الظهر وعَظْم الصدر.

- المشاكلة في قوله تعالى: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾؛ حيث سَمَّى جزاء كيدهم ﴿كَيْدًا﴾، والمشاكلة: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، أي لمجيئه معه.

- في قوله تعالى: ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمُ رُؤْيَا﴾ كرَّر اللفظين وخالف بينهما؛ لزيادة التسكين والتصبير، لئلا يستعجل النبي ﷺ العذاب للمشركين.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- 1- كل نفس عليها حافظ، يحفظ أعمالها، ويكتب أقوالها.
- 2- قدرة الله تعالى على بعث الخلق مرةً أخرى.
- 3- القرآن منزل من عند الله ليفرق بين الحق والباطل.
- 4- انتقام الله تعالى من الكافرين آت لا محالة، لكنَّ الله يؤخرهم لحكمة يعلمها.

الأسئلة

س ١: ما أصل الطارق؟ وما المراد منه هنا؟ ولماذا أقسم الله تعالى بالنجم؟ وما جواب القسم؟.

س ٢: من المراد بالحافظ؟ وما معنى ﴿أَمَّهُمْ﴾؟ وما جواب الاستفهام؟ وما معنى ﴿دَافِقٍ﴾؟.

س ٣: ما المراد من ﴿الْتَرَائِرُ﴾؟ وما معنى بلائها؟ وما المراد من نفي القوة والناصر؟.

س ٤: ما المراد بالرجع؟ وما معنى ﴿فَصَلَّ﴾؟ ولما الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾؟ وما كيدهم؟.

س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ بـ قوله تعالى: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُوَيْدًا﴾.

س ٦: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة.

سورة الأعلى

(مكية وهي تسع عشرة آية)

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤)﴾

تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾ نزه ذاته عن كل ما لا يليق به، و﴿الْأَعْلَىٰ﴾ بمعنى العلوّ الذي هو القهر والاقْتدار، لا بمعنى العلوّ في المكان.

وقيل: قُل سبحان ربي الأعلى، وفي الحديث لما نزلت قال النبي ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»^(١).

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: ﴿خَلَقَ﴾ كل شيءٍ ﴿فَسَوَّىٰ﴾ خلقه تسويةً ولم يأت به متفاوتًا غير مُلتئم، ولكن خلقه على إحكام واتساق، ودلالةٍ على أنه صادرٌ عن عالم حكيم، أو: سواه على ما فيه منفعته ومصالحته.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ أي: قَدَّرَ لكل مخلوق ما يُصلِحُه، فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به، أو: ﴿فَهَدَىٰ﴾ وأضل، ولكن حُذِفَ [وأضل] اكتفاءً بـ [هَدَى]، وذلك كقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ أنبت ما ترعاه الدواب.

(١) رواه أحمد وغيره بسند يَحْتَمِلُ التَّحْسِينَ.
(٢) سورة النحل . الآية: ٩٣.

﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ ٥ ﴿ سُنُقِرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ ٦ ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾ ٧
﴿ وَنَسِرْتُكَ لِلْيَسْرَى ﴾ ٨

﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً ﴾ يابسًا هشيمًا ﴿ أَحْوَى ﴾ أي: أسود، ف ﴿ أَحْوَى ﴾ صفةٌ لقوله
﴿ غُثَاءً ﴾.

﴿ سُنُقِرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ سنعلمك القرآن حتى لا تنساه، ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أن
يُنسخه، وهذه بشارَةٌ من الله لنبيه ﷺ أن يحفظ عليه الوحي؛ حتى لا يَنْفَلت
منه شيءٌ؛ إِلَّا ما شاء الله أن يَنْسخه، فيذهب به عن حفظه برفع حُكمه وتلاوته.
وسأل ابنُ كيسان النَّحوي جُنيدًا عنه فقال: ﴿ فَلَا تَنْسَى ﴾ العملُ به، فقال:
مِثْلُكَ يُصَدَّر.

وقيل: قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَنْسَى ﴾ على النَّهي، والألف لأجل الفاصلة، كقوله
﴿ السَّبِيلَا ﴾ ^(١) أي: فلا تُغفل قراءته وتكريره فتنساه، ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أن
يُنسيك إياه برفع تلاوته.

﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾ أي: إنك تجهرُ بالقراءة مع قراءة جبريل ﷺ؛ مخافة
التَّفَلُّتِ، والله يعلم جَهْرَكَ معه، وما في نفسك مما يدعوك إلى الجهر.

أو: يعلم ما تقرأ في نفسك مخافة النَّسيان، أو: يعلم ما أسررتُم وما أعلنتُم من
أقوالكم وأفعالكم، وما ظهر وما بَطَن من أحوالكم.

﴿ وَنَسِرْتُكَ لِلْيَسْرَى ﴾ معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿ سُنُقِرْتُكَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ
يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾ جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه. والمعنى: نُوفِّقك

(١) سورة الأحزاب . الآية: ٦٧ .

﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ٩ ﴾ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ١٠ ﴿ وَبِجَنَّتِهَا الْأَشْقَى ١١ ﴾ الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ
الْكُبْرَى ١٢ ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ١٣ ﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ١٤ ﴿

للطريقة التي هي أيسر وأسهل يعني حفظ الوحي، أو نوبتك للشريعة السمحة
التي هي أيسر الشرائع، أو لعمل الجنة.

تزكية النفس والعمل للأخرة

﴿ فَذَكِّرْ ﴾ أي: عِظْ بالقرآن، ﴿ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ ﴿ إِنْ ﴾ شرطية، وجوابها
محذوف دل عليه الفعل ﴿ فَذَكِّرْ ﴾، وقيل: ظاهره شرط، ومعناه استبعاداً لتأثير
الذكري فيهم.

وقيل: هو أمرٌ بالتذكير على الإطلاق - كقوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ
مُذَكِّرٌ ﴾^(١) - غير مشروطٍ بالنفع.

﴿ سَيَذَكِّرُ ﴾ سيتعظ ويقبل التذكرة ﴿ مَنْ يَخْشَى ﴾ الله وسوء العاقبة. ﴿ وَبِجَنَّتِهَا ﴾
يتباعد عن الذكرى فلا يقبلها ﴿ الْأَشْقَى ﴾ الكافر، أو: الذي هو أشقى الكفرة؛
لتوغُّله في عداوة رسول الله ﷺ.

﴿ الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ﴾ يدخل نار جهنم، والصغرى: نار الدنيا، ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا ﴾ فيستريح من العذاب ﴿ وَلَا يَحْيَى ﴾ حياةً يتلذذ بها.

وقيل: [ثُمَّ] تفيد التراخي؛ لأنَّ التَّارِجِحَ أو التردد بين الحياة والموت أفضع من
الصلي، فهو متراخٍ عنه في مراتب الشدة.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ نال الفوز ﴿ مَنْ تَزَكَّى ﴾ تطهر من الشرك، أو تطهر للصلاة، أو أدى
الزكاة، على وزن تَفَعَّلَ من الزكاة، كَتَصَدَّقَ من الصدقة.

(١) سورة الغاشية . الآية: ٢١ .

﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ ١٥ ﴿ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ١٦ ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ١٧ ﴿ إِنَّ هَذَا لَنَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ ١٨ ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ ١٩ ﴿

﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ ﴾ وَكَبَّرَ لافتتاح الصلاة ﴿ فَصَلَّى ﴾ الخَمْسَ، وبه يُحْتَجُّ على وجوب تكبيرة الافتتاح (الإحرام)، وعلى أَنَّها ليست من الصلاة؛ لأنَّ الصلاة عُظِفَتْ عليها، والعُظْفُ يقتضي المغايرة.

واحتج بهذه الآية أيضًا على أَنَّ الافتتاح جائزٌ بكل اسم من أسمائه عز وجل.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: المعنى: ذكر معاده ووقوفه بين يدي ربه فصلَّى له.

﴿ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ على الآخرة؛ فلا تفعلون ما به تُفْلحون، والمُخَاطَبُ به الكافرون، يُدُلُّ عليه قراءة أبي عمرو ﴿ تُؤَثِّرُونَ ﴾ بالياء بدلًا من التاء.

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ أفضلُ في نفسها وأدومُ.

﴿ إِنَّ هَذَا لَنَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ ﴿ هَذَا ﴾ إشارة إلى جميع ما تقدم من قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾، أي: إنَّ معنى هذا الكلام واردٌ في تلك الصُّحُفِ، ويجوز أن يكون إشارةً إلى ما في السورة كُلِّها.

﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ بدل من ﴿ الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾.

من الأسرار البلاغية

- حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ فَسَوَّى ﴾، وقوله تعالى: ﴿ قَدَّرَ فَهَدَى ﴾، ليفيد العموم؛ لأن المراد: خلق كلَّ شيء فسواه، وقَدَّرَ كلَّ شيء فهدهاه.

- في قوله تعالى: ﴿ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾ طباق.

- في قوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ طباق.

- في قوله تعالى: ﴿سَيَذَكُرُ مَنْ يَخْشَى﴾ (١٠) ﴿وَنَجِّنَهَا الْأَشَقَى﴾ مقابلة.

ما يستفاد من السورة:

- ١ - ينبغي على المسلم أن يُنَزّه الله تعالى عن كل ما لا يليق به.
- ٢ - تتجلى عظمة الله تعالى وقدرته في خلقه لهذه المخلوقات بتلك الكيفية البديعة.
- ٣ - هيا الله تعالى كل مخلوق لما خُلق له في هذا الكون.
- ٤ - وعد الله نبيه ﷺ أن يحفظ عليه القرآن فلا ينساه.
- ٥ - الموعدة بالقرآن واجبة، سواء انتفع بها أم لا.
- ٦ - ينتفع بالذكرى أهل الإيمان، ويُعرض عنها أهل الكفر والجحود.

الأسئلة

س ١: ما معنى ﴿سَبَّحَ﴾؟ ولمن الخطاب؟ وما مفعول ﴿خَلَقَ﴾؟ وما المراد من ﴿فَسَوَّيْ﴾؟.

س ٢: ما ﴿الْمَرْعَى﴾؟ وما معنى ﴿أَحْوَى﴾؟ وما معنى ﴿سُقْرِيَّتُكَ﴾؟ وما مفعوله الثاني؟ وما المراد بالنسيان؟ وهل الفعل ﴿نَسَى﴾ مرفوع أم مجزوم؟.

س ٣: ما المراد باليسرى؟ وما جواب الشرط في ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾؟.

س ٤: من المراد بـ ﴿الْأَشَقَى﴾؟ ومعنى ﴿النَّارَ الْكُبْرَى﴾؟ وما المراد من التزكي؟ وما مفعول ﴿فَصَلَّى﴾؟.

س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾، وقوله تعالى: ﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ (١٠) و﴿يَنْجِنُهَا الْأَشَقَى﴾.

س ٦: اذكر بعض ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الغاشية

(مكية وهي ست وعشرون آية)

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ وَجُوهٌُ يُومِئِدُ خَشِعَةً ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ ﴾

من أهوال القيامة وأحوال أهل النار

﴿ هَلْ ﴾ بمعنى: قد ﴿ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها، يعني: يوم القيامة، وقيل: النار، من قوله تعالى: ﴿ وَغَشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ ۝١ ﴾.

﴿ وَجُوهٌُ ﴾ أي: وجوه الكفار، وإنما خصَّ الوجه؛ لأنَّ الحُزْنَ والسُرُورَ إذا استحكما في المرء أثرا في وجهه ﴿ يَوْمِئِدُ ﴾ يوم إذ غُشِيَتْ ﴿ خَشِعَةً ﴾ ذليلة؛ لِمَا اعتري أصحابها من الخزي والهوان.

﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ تعمل في النار عملاً تتعب فيه، وهو جرُّها السلاسل والأغلال، وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل، وارتقاؤها دائبة في صعودٍ من نار وهبوطها في حُدُورٍ منها.

وقيل: عملت في الدنيا أعمال السوء، والتذت بها وتنعمت، فهي في نصبٍ منها في الآخرة.

وقيل: هم أصحاب الصوامع - الذين كانوا يتعبدون إلى الله تعالى في أماكنهم الخاصة بهم - ومعناه: أنها خشعت لله، وعملت وتعبت في أعمالها، من الصوم

(١) سورة إبراهيم . الآية: ٥٠ .

﴿ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تَشْقَى مِنْ عَيْنٍ أَيْنِيَّةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسِينُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ ﴾

الدائب والتهجد الواصب. ﴿ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴾ تدخل نارًا قد أحميت مُدَدًا طويلة، فلا حَرَّ يَعْدِلُ حَرَّهَا، ﴿ تَشْقَى مِنْ عَيْنٍ أَيْنِيَّةٍ ﴾ من عين ماءٍ قد انتهى حرُّها والتأنيث في هذه الصفات والأفعال راجعٌ إلى الوجوه، والمراد: أصحابها؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴾، وهو نبتٌ يقال له، الشُّبْرُق إذا كان رَطْبًا، فإذا يبس فهو ضريعٌ، وهو سُمٌّ قاتل.

والعذاب ألوانٌ، والمعذبون طبقاتٌ، فمنهم أكلة الزَّقُوم، ومنهم أكلة الغَسَلين، ومنهم أكلة الضَّرِيع، ولا تناقض بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴾^(١).

﴿ لَا يُسِينُ ﴾ في محل جر؛ لأنه وَصِفٌ لـ ﴿ ضَرِيحٍ ﴾، ﴿ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ أي: منفعتا الغذاء منفيتان عنه، وهما: إماطة الجوع، وإفادة السَّمَن في البدن.

نعيم المؤمنين في الجنة

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ ثم وصف وجوه المؤمنين، ولم يقل: ووجوه؛ لأنَّ الكلام الأوَّل قد طال وانقطع، ﴿ نَاعِمَةٌ ﴾ متنعمة في لين العيش.

﴿ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ رضيت بعملها وطاعتها، لما رأت ما أَدَّاهم إليه ذلك من الكرامة والثواب.

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ من علو المكان أو المقدار.

(١) سورة الحاقة . الآية: ٣٦.

﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴾ ١١ ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ ١٢ ﴿ فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ ﴾ ١٣ ﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ ١٤
﴿ وَمَنَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ ﴾ ١٥ ﴿ وَزَرَائِبٌ مَبْنُوثَةٌ ﴾ ١٦ ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ ﴾

﴿ لَا تَسْمَعُ ﴾ أيها المخاطب، أو هذه الوجوه ﴿ فِيهَا لَغِيَةً ﴾ أي: لغواً، أو: كلمة ذات لغو، أو: نفساً تلغو، لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم.

﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ أي: عيون كثيرة.

﴿ فِيهَا سُرٌّ ﴾ جمع سرير ﴿ مَرْفُوعَةٌ ﴾ من رفعة المقدار، أو المكان؛ ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما أعطاه ربه من الملك والنعيم. ﴿ وَأَكْوَابٌ ﴾ جمع كؤوب، وهو القدح، وقيل: آنية لا عروة^(١) لها.

﴿ مَوْضُوعَةٌ ﴾ بين أيديهم؛ ليتلذذوا بالنظر إليها، أو: موضوعة على حافات العيون، مُعدة للشرب.

﴿ وَمَنَارِقٌ ﴾ وسائد مفردتها: نَمْرَقة ﴿ مَّصْفُوفَةٌ ﴾ بعضها إلى جنب بعض، مسانداً ومطارحاً، أي: أراد أن يجلس على واحدة، واستند إلى الأخرى.

﴿ وَزَرَائِبٌ ﴾ وبسط عراض فاخرة، جمع: زَرَبِيَّةٌ ﴿ مَبْنُوثَةٌ ﴾ مبسوطة، أو: مفرقة في المجالس.

من مظاهر قدرة الله تعالى

ولما أنزل الله تعالى هذه الآيات في صفة الجنة، أنكر الكفار ذلك واستبعدوه لكونهم لم يشاهدوا شيئاً منه في الدنيا! فقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ ﴾

(١) العروة من الدلو والكوز ونحوه هي المَقْبُض تاج العروس مادة عرو ٢٥/٣٩.

﴿ كَيْفَ خَلَقَتْ ۙ ۱۷ ﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۙ ۱۸ ﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۙ ۱۹ ﴾ وَإِلَى
الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۙ ۲۰ ﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۙ ۲۱ ﴾

﴿ كَيْفَ خَلَقَتْ ﴾ طويلة، ثم تبرك حتى تُركب، ويُحمل عليها، ثم تقوم، فكذا السّرير يُطأطى للمؤمن كما تطأطى الإبل.

﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ رفعا بعيد المدى بلا إمساكٍ وعمدٍ، ونجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل في حساب الخلق، فكذلك أكواب الجنة.

﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ نصبا ثابتا، فهي راسخة لا تميل مع طولها، فكذلك النهارق.

﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ سَطْحًا بتمهيد وتوطئة، فهي كلها بساطٌ واحدٌ ينبسط من الأفق إلى الأفق، فكذا الزرابي، ويجوز أن يكون المعنى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ ﴾ إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق؛ حتى لا ينكروا اقتداره على البعث، فيسمعوا إنذار الرسول ﷺ، ويؤمنوا به، وَيَسْتَعِدُّوا لِلِقَائِهِ تَعَالَى.

وتخصيص هذه الأربعة بالذكر؛ لأنَّ هذا خطابٌ للعرب وحثُّ لهم على الاستدلال، والمرء إنَّما يستدل بما تكثُر مشاهدته له، والعرب تكون في البوادي، ونظرهم فيها إلى السماء والأرض والجبال، والإبل أعزُّ أموالهم، وهم أكثر استعمالاً لها من سائر الحيوانات؛ ولأنَّها تجمع جميع الحاجات المطلوبة من الحيوان، وهي النسل، والدُّرُّ، والحملُ، والركوب، والأكل، بخلاف غيرها.

﴿ فَذَكِّرْ ﴾ فذكرهم بالأدلة ليتفكروا فيها ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ ليس عليك إلا التبليغ.

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾
﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ بِمُسَلِّطٍ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ (١).

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ الاستثناء منقطع.

أي: لست بمُسْتَوِلٍ عليهم، ولكن من تَوَلَّى منهم، وكفر بالله؛ فَإِنَّ اللَّهَ الْوَلَايَةَ عليه والقهر، فهو يُعَذِّبُهُ العذاب الأكبر، وهو عذاب جهنم.

وقيل: هو استثناء متصل من مفعول ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: فذكّر ... إلا من انقطع طمّعك من إيمانه و﴿تَوَلَّى﴾ فاستحق ﴿الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾، وما بينهما كلام معترض.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ فنحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها جزاء أمثالهم.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ قَدَّمَ الجار والمجرور ﴿إِلَيْنَا﴾؛ ليفيد التشديد في الوعيد، وأن رجوعهم ليس لأحد إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام منهم.

- قَدَّمَ الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾؛ لتأكيد الوعيد، لا لتأكيد الوجوب، فالله تعالى لا يجب عليه شيء.

(١) سورة ق . الآية: ٤٥ .

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١ - أعدَّ اللهُ تعالى لأهل الجنة من ألوان النَّعيم ما تسعد به نفوسهم.
- ٢ - يشقى أهل الكفر يوم القيامة بكفرهم، ويكونون في ذلة وهوان بسببه.
- ٣ - في الكون آيات عظيمة تدل على قدرة الله وبديع صنعه.
- ٤ - ينبغي على المرء أن يتأمل في آيات الله المنظورة، ويتفكر في الكون من حوله.
- ٥ - ليس على رسول الله ﷺ إلا تبليغ الرسالة للناس، أما هدايتهم للحق فلا يملكها إلا الله.
- ٦ - لا بدَّ لهذه الحياة من نهاية يحاسبُ اللهُ فيها عباده على ما قدّموه.

الأسئلة

س ١: ما معنى ﴿هَلْ أَتَكَ﴾؟ وما المراد بـ ﴿الْغَشِيَّة﴾؟ وما معنى خشوع الوجوه يوم القيامة؟ ومن أصحاب هذه الوجوه؟

س ٢: ما معنى ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾؟ وما معنى ﴿تَصَلَّى﴾؟ وما المراد بـ ﴿عَيْنٍ أَيْنِيَّةٍ﴾؟ وما الضريع؟ ولم نفى السمن والإغناء من الجوع؟ ومن أصحاب الوجوه الناعمة؟

س ٣: ما إعراب ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾؟ ولمن الضمير في ﴿لَا تَسْمَعُ﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿لَنُغَيِّئَنَّ﴾؟ وما الفرق بين النار والزراي؟ ومصفوفة ومبثوثة؟

س ٤: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾؟ وعلام عطفت الفاء؟ وما وجه تخصيص هذه الأشياء الأربعة بالذكر؟ وما الإياب؟

س ٥: وضع السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾.

(ب) ﴿عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾.

س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الفجر (مكية وهي: ثلاثون آية)

﴿وَالْفَجْرِ ۝١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي

حِجْرِ ۝٥﴾

عذاب الكفار وجزاء بعضهم في الدنيا

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم بالفجر، وهو وقت الصبح، كقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾^(١)، أو: بصلاة الفجر. ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ عشر ذي الحجة؛ أو: العشر الأول من المُحَرَّم، أو: الأواخر من رمضان.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ شَفَعُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ وَوَتَرَهَا، أو: شَفَعُ هَذِهِ اللَّيَالِي وَوَتَرَهَا، أو: شَفَعُ الصَّلَاةَ وَوَتَرَهَا، أو: يَوْمَ النَّحْرِ؛ لِأَنَّهُ الْيَوْمَ الْعَاشِرَ، وَيَوْمَ عَرَفَةَ؛ لِأَنَّهُ التَّاسِعَ، أوِ الْخَلْقَ وَالْخَالِقَ.

وبعد ما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ﴾ وقيل: أريد ليلة القدر ﴿إِذَا يَسْرِ﴾ إذا يمضي ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ أي فيما أقسمتُ به من هذه الأشياء ﴿قَسَمٌ﴾ أي مُقَسَّمٌ به ﴿لِذِي حِجْرِ﴾ عقل؟ سُمِّيَ العقل به؛ لِأَنَّهُ يَحْجُرُ (يمنع) عن السُّقُوطِ فيما لا ينبغي، كما سُمِّيَ عقلاً وَنُهْيَةً؛ لِأَنَّهُ يَعْقِلُ وَيُنْهَى، يريد: هل تحقق عنده أن تُعْظَمَ هذه الأشياء بالإقسام بها؟ أو ﴿هَلْ فِي﴾ إقسامي بها إقسامٌ ﴿لِذِي حِجْرِ﴾ أي: هل هو قسمٌ عظيمٌ يؤكِّدُ بمثله المقسم عليه؟ أو: هل في القسم بهذه الأشياء قسم مقنع لذي عقل ولب؟ والمقسم

(١) سورة المدثر . الآية: ٣٤ .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ ﴾

عليه محذوف، تقديره: لِيُعَذِّبَنَّ، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾.

ثم ذكر تعذيب الأمم التي كذبت الرسل فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ أي: ألم تعلم يا محمد علمًا يوازي اليقين؟

وعادٌ هم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، ثم قيل للأولين منهم: عاد الأولى، و(إرم) تسمية لهم باسم جدّهم، وقيل لمن بعدهم: عادٌ الأخيرة، ف ﴿ إِرْمٌ ﴾ عطف بيان لـ ﴿ عَادٍ ﴾، وقيل: إرم: بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها، و ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ إذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى: أنهم كانوا بدويين أهل عُمُد، أو: طوال الأجسام، على تشبيهها بالأعمدة، وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى: أنها ذات أساطين؟

﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ أي مثل عادٍ في قوتهم، وطول قامتهم، أو لم يُخْلَقْ مثلُ مدينة شَدَاد، وشَدَاد هذا هو من عاد على ما روي، والأولى أن تحذف ويقال: ﴿ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾ في جميع بلاد الدنيا ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ ﴾ نحتوا صخر الجبال، واتخذوا فيها بيوتًا، قيل: أول مَنْ نحت الجبال والصخور ثمود، ﴿ بِالْوَادِ ﴾ بوادي القرى.

﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ أي ذي الجنود الكثيرة، وقيل: كان له أوتاد يعذب الناس بها كما فعل بأسية ﴿ الَّذِينَ ﴾ في محل النَّصْبِ على الدَّم، أو الرَّفْعِ على أَنَّهُ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هُم ﴿ الَّذِينَ ﴾، أو الجرُّ على أَنَّهُ صفة للمذكورين عاد وثمود

﴿ طَفَعُوا فِي الْبَلَدِ ﴾ ١١ ﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ ١٣ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمُرْصَادِ ﴾ ١٤ ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ ١٥ ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴾ ١٦ ﴿ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ ١٧ ﴿ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ ١٨ ﴿

و فرعون ﴿ طَفَعُوا فِي الْبَلَدِ ﴾ تجاوزوا الحد ﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ بالكفر والقتل والظلم ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ أي: عذبوا عذاباً مؤلماً دائماً ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمُرْصَادِ ﴾ وهو المكان الذي يُنتظر فيه الرّصد، وهذا مثل لإرصاده العباد، وأنهم لا يفوتونه، وأنه عالمٌ بما يصدرُ منهم، فيجازيهم عليه إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ.

قلة اهتمام الإنسان بالآخرة

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ، فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ ١٥ ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴾ أي: ضيق عليه ﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴾ أي: الواجب لمن ربُّه بالمرصاد أن يسعى للعاقبة، ولا تهمة العاجلة، وهو قد عكس فإنه إذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال: ﴿ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ أي: فضّلني بما أعطاني، فيرى الإكرام في كثرة الحظ من الدنيا، وإذا امتحنه بالفقر فضيق عليه رزقه ليصبر قال: ﴿ رَبِّي أَهْنَنِ ﴾ فيرى الإهانة في قلة الحظ من الدنيا؛ لأنّه لا تهمة إلا العاجلة. فردّ عليه زعمه بقوله: ﴿ كَلَّا ﴾ أي: ليس الإكرام والإهانة في كثرة المال وقلته، بل الإكرام في توفيق الطاعة، والإهانة في الخذلان.

﴿ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ ١٧ ﴿ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ أي: بل هناك شر من هذا القول، وهو أنّ الله يكرمهم بالغنى، فلا يؤدّون ما يلزمهم فيه من

﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ ١٩ ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ ٢٠ ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ٢١ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ٢٢ ﴿وَجِئْنَا بِبُحْبُوحٍ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّ لَهُ الذِّكْرَى﴾ ٢٣ ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ ٢٤ ﴿فِيَوْمِئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ ٢٥ ﴿

إكرام اليتيم بالمبرّة وَحَضَّ أهله على طعام المسكين ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ﴾ أي: الميراث ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ ذالم، وهو الجمع بين الحلال والحرام، وكانوا لا يُورثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون ميراثهم مع ميراثهم. ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: كثيرًا شديدًا مع الحرص ومنع الحقوق.

حال الإنسان يوم القيامة

﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعالهم، ثم أتى بالوعيد وذكر تحسّرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة، فقال: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ﴾ إذا زلزلت ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ دكا بعد دك، أي: كرّر عليها الدك حتى عادت هباءً مُنْبَثًّا.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ تمثيل لظهور آيات اقتداره، وتبيين آثار قهره وسلطانه، فإنّ واحدًا من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه، وعن ابن عباس: جاء أمره وقضاؤه. ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أي: ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفًّا بعد صف. ﴿وَجِئْنَا بِبُحْبُوحٍ﴾ يُؤْتَى بِبُحْبُوحٍ يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ﴿فِيَوْمِئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ﴾ أي: يتعظ ﴿وَأَنَّ لَهُ الذِّكْرَى﴾ ومن أين له منفعة الذكرى ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ يريد الآخرة، أي: ياليتني قدمت الأعمال الصالحة في الحياة الفانية لحياتي الباقية ﴿فِيَوْمِئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ أي:

﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿ يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ ﴿ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ ﴿ فَادْخُلِي ﴾
﴿ فِي عِبَادِي ﴾ ﴿ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴾

لا يتولى عذاب الله لأهل النار أحد؛ لأنَّ الأمر لله وحده في ذلك اليوم. ﴿ وَلَا يُوثِقُ ﴾ بالسلاسل والأغلال ﴿ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ أي: لا يُعَذَّب أَحَدًا أَحَدًا كعذاب الله، ولا يُوثِقُ أَحَدًا أَحَدًا كوثاق الله، والضمير يرجع إلى الإنسان الموصوف وهو الكافر، ثم يقول الله تعالى للمؤمن: ﴿ يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ ﴾ إكرامًا له، أو يقوله على لسان ملك ﴿ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة، أو المطمئنة إلى الحق، وإنما يُقال لها ذلك عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة ﴿ أَرْجِعِي إِلَىٰ ﴾ موعد ﴿ رَبِّكِ ﴾ أو ثواب ربك ﴿ رَاضِيَةً ﴾ من الله بما أعطيت ﴿ مَّرْضِيَّةً ﴾ عند الله بما عملت ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ في جملة عبادي الصالحين ﴿ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴾ معهم.

من الأسرار البلاغية:

- التنكير في قوله تعالى: ﴿ وَلَيْالٍ ﴾؛ لبيان زيادة فضيلتها.
- في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَسَّرَ ﴾ أسند السرى - بمعنى السير - إلى الليل مجازًا؛ لأنَّ الليل لا يَسْرِي، وإنما يُسْرَى فيه، كما يقال: ليلٌ نائم، أي: يُنام فيه.
- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ للتقرير.
- في قوله تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ مجازٌ عن إيقاع العذاب بهم على أبلغ وجه؛ إذ الصَّبُّ يُشعر بالدوام، والسَّوْطُ بزيادة الإيلام.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١ - حتمية عذاب الكفار، فقد أقسم الله تعالى بالفجر، وبالليالي العشر من ذي الحجة، وبالشفع والوتر على أنه ليعذبن الكفار.
- ٢ - الكرامة عند الله والهوان ليس بكثرة الحظ في الدنيا وقلته، وإنما الكرامة عنده أن يكرم الله العبد بطاعته وتوفيقه، المؤدي إلى حظ الآخرة، وإن وسّع عليه في الدنيا حمده وشكره.
- ٣ - ذمّ إهانة اليتيم ومنعه من الميراث، وأكل ماله، وعدم الحض على إطعام المسكين، ومحبة المال حباً كثيراً.
- ٤ - يتعظ الكافر يوم القيامة ويتوب، ولكن من أين له الانتفاع بالاعتاظ وقد فرط فيها في الدنيا.
- ٥ - السلطان المطلق في الحساب والجزاء لله وحده، ولا يخرج أحد عن قبضة الله وسلطانه.
- ٦ - النفس المطمئنة بالإيمان والعمل الصالح يُقال لها: ارجعي إلى رضوان ربك وجنته، راضية بما أعطاك الله من النعم، مرضية عند الله بما قدمت من عمل.

الأسئلة

س ١: ما المراد بالفجر؟ وما المراد من الليالي؟ ولم نُكِّرْت؟ وما المراد بالشفع والوتر؟.

س ٢: ما معنى ﴿إِذَا يَسَّرَ﴾؟ وما هو الحِجْر؟ وما جواب القسم؟ وما المراد من الرؤية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؟ وما نوع الاستفهام فيه؟.

س ٣: ما معنى ﴿جَاءُوا الصَّخْرَ﴾؟ وما المراد بالوادي والأوتاد؟ وما معنى السوط؟.

س ٤: ما المرصاد؟ وما المراد بدك الأرض؟ وما المراد بالحياة في قوله تعالى: ﴿لِحَيَاتِي﴾؟ وما المراد بالنفس؟ وما معنى المطمئنة؟ ومتى يقال لها ذلك؟.

س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾. - قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوِّطَ عَذَابٍ﴾.

س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة البلد

(مكية وهي: عشرون آية)

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَفْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾

ابتلاء الإنسان بالتعب واغتراره بقوته وماله

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الإنسان خلق مغمورًا في شدة وعناء من مكابدة الدنيا؛ واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أي:

وأنت أيها الرسول ﷺ ﴿حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني: مكة في المستقبل، والآية تشير إلى المكانة العالية للنبي ﷺ وأن مكانته أعظم حتى من البلد الحرام لأنها مع كونها كذلك أحلها الله له. ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ هما آدم وولده، أو كل والد وولده، أو إبراهيم وولده، ﴿وَمَا﴾ بمعنى من، أو بمعنى الذي ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ جواب القسم ﴿فِي كَبَدٍ﴾ مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة، والضمير في قوله: ﴿أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَفْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ لبعض صنديد قريش الذين كان رسول الله ﷺ يكابد منهم ما يكابد، والمعنى: أياظن هؤلاء الصناديد الأقوياء في قومهم المستضعفين للمؤمنين أن لن تقوم قيامتهم، ولن يُقدر على الانتقام منهم؟، ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم، وأنه

﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴾ ٦ ﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ ٧ ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾ ٨
 وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ١٠ فَلَا اقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ ١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ
 ١٢ فَكُ رَقَبَةً ١٣ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ١٥ أَوْ مَسْكِينًا ذَا
 مَتْرَبَةٍ ١٦ ﴿

﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴾ أي: كثيرًا، جمع لبدة، وهو ما تلبد، أي: كثر واجتمع، يريد: كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالي ﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ حين كان ينفق ما ينفق رياءً وافتخارًا، يعني: أن الله تعالى كان يراه، وكان عليه رقيبًا.

طريق النجاة في الآخرة

ثم ذكر نعمه عليه، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾ يبصر بهما المرئيات ﴿ وَلِسَانًا ﴾ يعبر به عما في قلبه ﴿ وَشَفَتَيْنِ ﴾ يستر بهما فمه، ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ طريقَي الخير والشر المؤديين إلى الجنة والنار.

﴿ فَلَا اقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ ١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ١٢ فَكُ رَقَبَةً ١٣ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ١٥ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ١٦ ﴾ يعني: فلم يشكر تلك النعم بالأعمال الصالحة من فك الرقاب، أو إطعام اليتامى والمساكين، ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة، وأساس كل خير بل جحد النعم وكفر بالمنعم، والمعنى: أن الإنفاق على هذا الوجه مرضي نافع عند الله، لا أن يهلك ماله لبداً في الرياء

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِبُنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

والفخار، وقلما تستعمل (لا) مع الماضي إلا مكررة، وإنما لم تُكْرَرْ في الكلام الأوضح؛ لأنه لما فسّر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنه أعاد (لا) ثلاث مرات، وتقديره: فلا فك رقبة، ولا أطمع مسكيناً، ولا آمن، والاقْتِحَام: الدخول والمجاورة بشدة ومشقة، والقُحْمَة: الشدة.

والمراد بقوله تعالى: ﴿ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ ما اقتحامها، ومعناه: أنك لم تدرك صعوبتها على النفس، وحقيقة ثوابها عند الله، وفك الرقبة: تخليصها من الرق، والإعانة في مال الكتابة، والمسغبة: المجاعة، من سغب إذا جاع، والمتربة: الفقر، من ترب إذا افتقر، ومعناه: التصق بالتراب، كناية عن الفقر.

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ عن المعاصي، وعلى الطاعات، والمحن التي يُبتلى بها المؤمن ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ بالتراحم فيما بينهم ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ أي: الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب الميمنة ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِبُنَا ﴾ بالقرآن أو بدلائلنا ﴿ هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ أصحاب الشمال ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾ أي: مطبقة من أوصدت الباب وآصدته إذا أظبقته وأغلقته، والله أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ استفهام إنكاري للتوبيخ.
- في قوله تعالى: ﴿ الْعَقَبَةُ ﴾ استعارة تبعية لهذا العمل الشاق على النفس، من حيث هو بذل مال، تشبيهه بعقبة الجبل: وهو ما صعب منه، أي أن العقبة: الطريق الوعر في الجبل، استعير للأعمال الصالحة ذات المشقة.

- في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ استعارة، استعار النجدين لطريقي الخير والشر أو السعادة والشقاوة، وأصل النَّجْد: الطريق المرتفع.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١ - القسم بالبلد الحرام - مكة -، وبالوالد والمولود - كآدم وذريته، وكل أب وولده - على أن الإنسان خُلق مغمورًا في شدة وعناء من مكابدة الدنيا.
- ٢ - توبيخ الإنسان على بعض الأفكار والأعمال، كظنه ألا قدرة لأحد عليه، وإنفاقه المال الكثير مرآة، وجهله بأنَّ الله عالم به مطلع على جميع أقواله وأفعاله.
- ٣ - تذكير الإنسان بنعم الله عليه من البصر والنطق والجمال والعقل والفكر المميّز بين الحق والباطل، وبيان لطريقي الخير والشر. وهذه النعم تقتضي الشكر عليها.
- ٤ - النجاة في الآخرة بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالصبر والتراحم.

الأسئلة

س ١: ما المراد بالبلد؟ ومَنْ المخاطب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حَلٌّ﴾؟ ومَنْ المراد بالوالد وما ولد؟ وما جواب القسم؟

س ٢: مَنْ المراد بالإنسان؟ وما معنى الكبد؟ ولمَنْ الضمير في ﴿أَيَحْسَبُ﴾؟.

س ٣: ما معنى ﴿بُذًا﴾؟ وما المراد بالنجدين؟ وما ﴿الْعَقَبَةَ﴾؟.

س ٤: بم يكون فك الرقبة؟ وما المراد من ﴿بِأَيْنِنَا﴾؟ وما معنى ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾؟

س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿الْعَقَبَةَ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الشمس

(مكية وهي: خمس عشرة آية)

﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرُ إِذَا نَلَّهَا ۝٢ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۝٣ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤
وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ ﴾

جزاء إصلاح النفس وإهمالها

﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴾ أي: وضوئها إذا أشرقت ﴿ وَالْقَمَرُ إِذَا نَلَّهَا ﴾ أي: تبعها في الضياء والنور ﴿ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴾ أي: جلى الشمس وأظهرها للرائين، وذلك عند انتشار النهار وانبساطه؛ لأنَّ الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء. ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ أي: يستر الشمس فتظلم الآفاق، والواو الأولى للقسم بالاتفاق، وكذا الثانية عند البعض، وعند الخليل: الثانية للعطف؛ لأنَّ إدخال القسم على القسم قبل مجيء الجواب لا يجوز، واحتجَّ مَنْ قال إنها للقسم بأنَّ كونها للعطف يحتاج إلى تأويل.

و﴿ مَا ﴾ وما دخلت عليه في قوله: ﴿ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ في تأويل مصدر عند البعض، أي: وبنائها، وطَّحَّها - أي: بسَّطها - وتسوية خلقها في أحسن صورة، ويجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي، وإنَّما أُوثرت (ما) على (مَنْ)؛ لإرادة معنى الوصفية، كأنه قيل: ﴿ وَالسَّمَاءُ ﴾ والقادر العظيم الذي بناها، ﴿ وَنَفْسٍ ﴾ والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها، وإنَّما نُكِّرت ﴿ وَنَفْسٍ ﴾؛ للتكثير، كما في قوله تعالى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾^(١)، ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ فأعلمها طاعتها ومعصيتها، أي: أفهمها أنَّ أحدهما حسن،

(١) سورة الإنفطار . الآية: ٥ .

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ ٨ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ ٩ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ ١٠ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴾ ١١ ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ ١٢ ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ ١٣ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾ ١٤ ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾

والآخر قبيح ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ جواب القسم، والتقدير: لقد أفلح، قال الزجاج: صار طول الكلام عوضاً عن اللام، والأظهر أن الجواب محذوف، وتقديره: لئدمدمن الله عليهم، أي: على أهل مكة، لتكذيبهم رسول الله ﷺ كما دمدم على ثمود؛ لأنهم كذبوا صالحاً، وأما ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ فكلام تابع لقوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾، على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء.

﴿ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ أي: طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكية ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ أي: أغواها الله، قال عكرمة: أفلحت نفس زكَّاهها الله، وخابت نفس أغواها الله، ويجوز أن يكون التطهير والتدسية فعل العبد.

العضة بقصة ثمود

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴾ أي: بطغيانها؛ إذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم ﴿ إِذِ انْبَعَثَ ﴾ حين قام بعقر الناقة ﴿ أَشْقَاهَا ﴾ أشقى ثمود ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ صالح ﷺ ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ ﴾ نُصِبَ على التحذير؛ أي: احذروا عقرها ﴿ وَسُقْيَاهَا ﴾ كقولك: الأسد الأسد ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ فيما حذَّره منه من نزول العذاب إن فعلوا ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ أي: الناقة، أسند الفعل إليهم، وإن كان العاقر واحداً؛ لرضاهم به. ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ﴾ أهلكتهم هلاك استئصال ﴿ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ بسبب ذنوبهم، وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة ﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ فسوى الدميمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾

ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة أي: فعل ذلك غير خائف أن تلحقه تبعه من أحد كما يخاف مَنْ يُعاقب من الملوك.

من الأسرار البلاغية:

- بين ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَالْيَلِ وَالنَّهَارُ، وَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ طباق.

- بين قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّهَا﴾ و﴿وَالْيَلِ إِذَا يَعِشَهَا﴾، وكذا بين ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ١﴾ و﴿قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ مقابلة.

- الإضافة في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ للتكريم والتشريف.

- في قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ مجاز مرسل علاقته الكلية، حيث أسند العقر إلى الكل وأراد الجزء.

- في قوله تعالى: ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ تهويل، فالتعبير بالدمدمة يدل على هول العذاب.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

١ - القسم بهذه المخلوقات لما فيها من عجائب الصنعة الدالة على الخالق.

٢ - قد أفلح وفاز مَنْ زكى نفسه بالطاعة، وخسرت نفس أهملها صاحبها وتركها تنغمس في المعصية.

٣ - أهلك الله ثمود هلاك استئصال بسبب تكذيبهم رسولهم.

الأسئلة

س ١: ما المراد بضحائها؟ وما معنى ﴿نَلَّهَا﴾؟ وما مرجع الضمير المنصوب في جلالها؟ وما معنى يغشاها؟.

س ٢: هل الواو الثانية في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ للقسم أو للعطف؟ وهل ﴿وَمَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا بَدَأْنَاهَا﴾ مصدرية أم موصولة؟.

س ٣: ما وجه تنكير ﴿وَنَفْسٍ﴾؟ وما معنى ﴿فَأَلَمَهَا﴾؟ وما موقع جملة ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ من الإعراب؟ ولمن ضمير الفاعل والمفعول في ﴿زَكَّاهَا﴾ و﴿دَسَّاهَا﴾؟

س ٤: ما المراد ﴿يَطْعُونَهَا﴾؟ وما معنى الباء فيه؟ ومن المراد بـ رسول الله؟ وما معنى الباء في ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾، وما ذنبهم؟ وما معنى ﴿فَسَوَّاهَا﴾؟.

س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِم رَّبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾.

س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الليل

(مكية وهي: إحدى وعشرون آية)

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا
مَنْ أَعْطَىٰ وَانْفَقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِّيَرَهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنِّيَرَهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾

اختلاف مسعى الناس

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ أي: يغطي كل شيء بظلامه. ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ أي: ظهر بزوال
ظلمة الليل.

﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ أي: والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر
والأنثى من ماء واحد، وجواب القسم: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ أي: إن عملكم لمختلف.
﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ ﴾ حقوق ماله ﴿ وَانْفَقَىٰ ﴾ ربه، فاجتنب محارمه ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾
أي: بالملة، الحسنى، وهي ملة الإسلام، أو بالمشوبة الحسنى، وهي الجنة، أو بالكلمة
الحسنى، وهي لا إله إلا الله ﴿ فَسَنِّيَرَهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ فسنيئه للخصلة اليسرى، وهي
العمل بما يرضاه ربه.

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾ بهاله ﴿ وَاسْتَغْنَىٰ ﴾ عن ربه، فلم يتقه، أو استغنى بشهوات الدنيا
عن نعيم الآخرة.

﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ بالإسلام أو الجنة ﴿ فَسَنِّيَرَهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ فسنيئه للخصلة المؤدية
إلى النار، فتكون الطاعة أعمس شيء عليه وأشد، وسمى طريقة الخير باليسرى؛

﴿ وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ ١١ ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ ١٢ ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴾ ١٣ ﴿ فَأَنْذَرْتُمْكُمْ نَارًا تَلْظَنُ ﴾ ١٤ ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ ١٥ ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ ١٦ ﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى ﴾ ١٧ ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ ١٨ ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ ١٩ ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ ﴾

لأنَّ عاقبتها اليسرى، وطريقة الشر بالعسرى؛ لأنَّ عاقبتها العسر، أو أراد بهما طريقي الجنة والنار.

﴿ وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ أي: لم ينفعه ماله إذا هلك، وتردَّى: تفعل من الردى وهو الهلاك، أو تردَّى في القبر، أوفى قعر جهنم، أي: سقط.

قد أعذر من أنذر

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ إنَّ علينا الإرشاد إلى الحق بإظهار الدلائل وبيان الشرائع ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴾ فلا يضرنا ضلال من ضل، ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى، أو أن الآخرة والأولى لنا، فمن طلبهما من غيرنا، فقد أخطأ الطريق ﴿ فَأَنْذَرْتُمْكُمْ ﴾ خوفتكم ﴿ نَارًا تَلْظَنُ ﴾ تتلهب ﴿ لَا يَصْلَاهَا ﴾ لا يدخلها للخلود فيها. ﴿ إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ ١٥ ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ إلا الكافر الذي كذب الرسل وأعرض عن الإيمان ﴿ وَسَيَجْزِيهَا ﴾ وسيبعد منها ﴿ الْآتِقَى ﴾ المؤمن ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ ﴾ للفقراء ﴿ يَتَزَكَّى ﴾ من الزكاة أي: يطلب أن يكون عند الله زاكياً، لا يريد بعمله رياء ولا سمعة.

قال أبو عبيدة: الأشقى بمعنى الشقي وهو الكافر، والأتقى بمعنى التقي وهو المؤمن، وقيل: الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين، وقيل: هما أبو جهل وأبو بكر. ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ ١٩ ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ ﴾ أي: وما لأحد عند الله نعمة يُجازيه بها إلا أن يفعل فعلاً يتغنى به

﴿الْأَعْلَى﴾ ٥٠ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾

وجبه فيجازه عليه ﴿الْأَعْلَى﴾ هو الرفيع بسلطانه، المنيع في شأنه وبرهانه، ولم يُرد به العلو من حيث المكان.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ وعدُّ بالثواب الذي يرضيه، ويُقرّ عينه، وهو كقوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(١).

من الأسرار البلاغية:

- بين أَيْلٍ وَالتَّهَارِ، ﴿الذِّكْرُ وَالْأُنْثَى﴾، و(اليسرى والعسرى) و(صَدَّقَ وَكَذَّبَ) طباق، وهو من المحسنات البديعية التي تبرز المعنى وتوضحه.

- بين قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ ٥ ﴿وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى﴾ ٦ ﴿فَسَنِيْرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ ٧ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ٨ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى﴾ ٩ ﴿فَسَنِيْرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ مقابلة، وهي من المحسنات البديعية التي تبرز المعنى وتوضحه.

- حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿أَعْطَى وَاتَّقَى﴾؛ لإفادة التعميم.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ - القسم بالليل حينما يغطي كل شيء بظلامه، وبالنهـار إذا انكشف ووضح وظهر، وبالذي خلق الذكر والأنثى، على أن عمل الناس مختلف في الجزاء، فبعضهم مؤمن وبرٌّ، وكافر وفاجر، ومطيع وعاص.

٢ - مَنْ بذل ماله في سبيل الله، وأعطى حق الله عليه، واتقى المحارم والمنكرات، فالله يهيئ له الطريق اليسرى السهلة للوصول إلى غايته، ويرشده لأسباب الخير والصلاح، حتى يسهل عليه فعلها.

(١) سورة الضحى . الآية: ٥.

٣- مَنْ بَخِلَ بِمَا عِنْدَهُ، فَلَمْ يَبْذُلْ خَيْرًا، فَاللَّهُ يَسْهَلُ طَرِيقَهُ لِلشَّرِّ، وَيَعْسِرُ عَلَيْهِ
أسباب الخير والصلاح، حتى يصعب عليه فعلها.

الأسئلة

س ١: ما معنى كل من: ﴿يَعْتَنِي﴾ - ﴿تَجَلَّى﴾ - ﴿الذِّكْرُ وَالْأُنْثَى﴾؟.

س ٢: ما جواب القسم؟ وما معنى ﴿لَشَيْءٍ﴾؟.

س ٣: وما المراد ﴿بِالْحَسَنِ﴾، و﴿لِلْيَسْرِ﴾، و﴿لِلْعُسْرِ﴾؟ وما معنى ﴿تَرَدَّى﴾،
و﴿تَلَطَّى﴾؟.

س ٤: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَى﴾ ٥ ﴿وَصَدَقَ بِالْحَسَنِ﴾ ٦ ﴿فَسَنِيْرُهُ لِلْيَسْرِ﴾ ٧

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ٨ ﴿وَكَذَبَ بِالْحَسَنِ﴾ ٩ ﴿فَسَنِيْرُهُ لِلْعُسْرِ﴾.

(ب) حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿أَعْطَى وَانْفَى﴾.

س ٥: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الضحى (مكية وهي: إحدى عشرة آية)

﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ ﴾

من نعم الله تعالى على نبيه ﷺ

﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾ المراد به: وقت الضحى، وهو أول النهار حين ترتفع الشمس، أو المراد بالضحى: النهار كله؛ لمقابلته بالليل في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾. والمراد بسكون الناس والأصوات فيه، وجواب القسم: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ أي: ما تركك منذ اختارك، وما أبغضك منذ أحبك، والتوديع مبالغة في الوداع؛ لأنَّ مَنْ وَدَّعَكَ مفارقاً، فقد بالغ في تركك. رُوي أَنَّ الوحي تأخر عن رسول الله ﷺ أياماً، فقال المشركون: إِنَّ محمداً ودَّعه ربه وقلاه، فنزلت^(١)، وحذفت الضمير من ﴿ قَلَىٰ ﴾ وتقديره: وما قلاك، ونحوه: ﴿ فَكَاوَىٰ ﴾، ﴿ فَهَدَىٰ ﴾، ﴿ فَأَغْنَىٰ ﴾ وتقديره: (فأواك) و(فهداك) و(فأغناك)، وهو اختصار لفظي؛ لظهور المحذوف.

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ أي: ما أعدَّ الله لك في الآخرة من المقام المحمود، والحوض المورود، والخير الموعود خيرٌ ممَّا أعجبك في الدنيا. ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ ﴾ في الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك ﴿ فَتَرْضَىٰ ﴾، ثم عدَّد عليه نعمه من أول حاله؛ ليقيس المنتظر من فضل الله على ما سبق منه؛ لئلا يتوقع إلا

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ ٦ ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ ٧ ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ ٨ ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ ٩ ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ ١٠ ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقل صبره، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ ﴾ ﴿ يَتِيمًا ﴾ وجد هنا بمعنى علم، والكاف، ويتيمًا منصوبان على أنّهما مفعولاه، والمعنى: ألم تكن يتيمًا حين مات أبواك ﴿ فَاوَى ﴾ أي: فأواك إلى عمك أبي طالب وضمك إليه حتى كفلك وربّك ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾ أي: غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة ﴿ فَهَدَى ﴾ فعرفك الشرائع والقرآن، وقيل: ضلّ في طريق الشام حين خرج به أبو طالب فردّه إلى القافلة، ولا يجوز أن يُفهم به عدول عن حق ووقوع في غيٍّ، فقد كان ﷺ من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصومًا من عبادة الأوثان، وقاذورات أهل الفسق والعصيان. ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا ﴾ فقيرًا ﴿ فَأَغْنَى ﴾ فأغناك بهال خديجة، أو بما أفاء عليك من الغنائم ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ فلا تظلمه لضعفه، بل أحسن إليه، وتلطف به. ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ فلا تزجره، بل أجبه أو ردّ عليه ردًّا جميلًا. ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ أي: حدّث بجميع نعم ربك عليك وخاصة نعمة النبوة والقرآن، والله أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- قوله تعالى: ﴿ وَلِلْآخِرَةِ ﴾، و﴿ الْأُولَى ﴾ بينهما طباق؛ أي: بين الآخرة والدنيا.
- بين قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ ٦ ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ ٧ ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ مقابلة وبين قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ ٩ ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ - القسم بالضحى - أي بالنهار - وبالليل إذا سكن، على أن الله ما ترك نبيه ﷺ وما أبغضه منذ أحبه.

٢ - تبشير الله نبيه ﷺ ببشارتين عظيمتين:

الأولى: جعل أحواله الآتية خيرًا له من الماضية.

والثانية: سيعطيه غاية ما يتمناه ويرتضيه في الدنيا بالنصر والتفوق وغلبة دينه

على الأديان كلها، وفي الآخرة بالثواب والحوض والشفاعة.

٣ - تعديد نعم الله ومننه على نبيه ﷺ، وذكر منها في السورة: الإيواء بعد اليُثم، والهدى بعد عدم العلم، والإغناء بعد الفقر.

٤ - أمر الله نبيه ﷺ بأن يتعامل مع الخلق مثل معاملة الله له.

الأسئلة

س ١: ما المراد بالضحي؟ وما معنى ﴿سَجِنَ﴾؟ وما وجه إسناد هذا الوصف لليل؟ وما جواب القسم؟.

س ٢: ما معنى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾؟ وما سبب نزول هذه الآية؟.

س ٣: ما المراد من ﴿الْمَ يَجِدُكَ﴾؟ وما مفعولاه؟ وما معنى ﴿فَأَوَى﴾؟ وما مفعوله؟ ولم حذف؟.

س ٤: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾؟ وما معنى ﴿عَابِلًا﴾؟ وما المراد بالسائل؟.

س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾.

(ب) بين قوله تعالى: ﴿الْمَ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ٦ و﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ٧

و﴿وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى﴾ وبين قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ٩ و﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة.

سورة الشرح (مكية وهي: ثمان آيات)

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾

من نعم الله تعالى على نبيه ﷺ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أي: فسّخناه بما أودعنا فيه من الحكمة والإيمان والنبوة، وأزلنا عنه ضيق الجهل حتى وسع هموم النبوة، ودعوة الجن والإنس. ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ أي: وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها، والوزر: الحمل الثقيل. ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي: أثقله حتى سُمع له نقيض، أي صوت. ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ رفع الله ذكره؛ حيث قرن اسمه ﷺ باسمه تعالى في كلمة الشهادة، والأذان، والإقامة، والخطب، والتشهد، وفي تسميته رسول الله، ونبي الله ﷺ. ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي: إنَّ مع الشدة التي أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسرًا بنصري إياك عليهم حتى تغلبهم.

ثم قال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي: فلا تيأس من فضل الله، فإنَّ مع العسر الذي أنتم فيه يسرًا، وجيء بلفظ ﴿مَعَ﴾ للإشعار بمقاربة اليسر العسر؛ كأنه جاء معه؛ زيادة في التسلية، ولتقوية القلوب، وإنَّما جاء في الأثر: «لن يغلب عسر يسرين»^(١)؛ لأنَّ العسر أُعيد مُعرَّفًا فكان واحدًا؛ لأنَّ المعرفة إذا أُعيدت معرفة كانت الثانية عين الأولى، واليسر أُعيد نكرة، والنكرة إذا أُعيدت نكرة كانت الثانية غير الأولى، فصار المعنى: إنَّ مع العسر يسرين.

(١) رواه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير عن الحسن البصري مرسلًا.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ أي: فإذا فرغت من أداء الرسالة، ودعوة الخلق فاجتهد في العبادة. ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ أي: واجعل رغبتك إلى الله وحده، وتضرع إليه، ولا تطلب ثواب عملك إلا منه، وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

من الأسرار البلاغية:

- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ استفهام تقريرى للتذكير بنعم الله، أي: قد شرحنا لك صدرك.

- في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ استعارة تمثيلية، شبه أعباء النبوة بحمّل ثقيل يرهق كاهل حامله، بطريق التمثيل.

- تنكير اليسر في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ للتعظيم والتفخيم، كأنه قال: يسرًا عظيمًا.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١ - من نعم الله على نبيه ﷺ أن: شرح صدره، وحط عنه وزره، ورفع ذكوره.
- ٢ - جعل الله تيسيرا ورحمة على العباد يسرين مع كل عسر.
- ٣ - الحث على المواظبة على العمل الصالح، والإقبال على فعله.
- ٤ - التوكل على الله وحده، والرغبة إليه والتضرع لوجهه الكريم.

الأسئلة

- س ١: ما نوع الاستفهام في ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾؟ وما المراد بالشرح؟.
- س ٢: ما المراد بالوزر؟ وما معنى ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾؟.
- س ٣: بماذا رفع الله ذكر نبيه ﷺ؟ ولم جئ بلفظ ﴿مَعَ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾؟.
- س ٤: ما المراد بقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾؟
- س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:
- (أ) تنكير اليسر في قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.
- (ب) قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾.
- س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة التين (مكية وهي: ثمان آيات)

﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ١ ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ ٢ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ٣

حال الإنسان خلقاً وعملاً

﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ أقسم بهما؛ لأنَّهما عجيبان من بين الأشجار المثمرة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: هو تينكم هذا وزيتونكم هذا. ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ أضيف الطور، - وهو الجبل الذي كلم الله موسى عنده - إلى سينين أي: سيناء، وهي البقعة التي فيها الجبل.

ويجوز أن تعرب ﴿سَيْنِينَ﴾ بالواو رفعًا، وبالياء نصبًا وجرًا، كجمع المذكر السالم، وأن تعرب بحركات الإعراب الثلاث (الضمة، والفتحة، والكسرة) على النون.

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني: مكة ﴿الْأَمِينِ﴾ أي: الآمن، أو المأمون فيه، من أمن الرجل أمانة فهو أمين، وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه، ومعنى القسم بهذه الأشياء: إظهار شرف تلك البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة؛ لأنَّها مهبط وحي الله على أولي العزم من الرسل؛ فالتين والزيتون قسم بمهبط الوحي على عيسى، والطور: المكان الذي نُودي منه موسى، ومكة: مكان البيت الذي هو هدى للعالمين، ومولد نبينا ومبعثه، صلوات الله عليهم أجمعين.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ٥ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٦ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ ٧ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾

وجواب القسم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ وهو جنس ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ أي: ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أي: جعلناه من أصحاب النار التي هي أسفل الدركات، أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين إلى أرذل العمر، وهو الهرم والضعف، والخرف، فانحنى ظهره بعد اعتداله، وابيض شعره بعد سواده، وضعف سمعه وبصره، وتغير كل شيء منه. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ الاستثناء على القول الأول متصل، والمعنى: إِلَّا الَّذِينَ جمعوا بين الإيثار والعمل، فلهم ثواب جزيل، ينجون به من النار أسفل السافلين.

وعلى القول الثاني منقطع، والمعنى: لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ أي: فما سبب تكذيبك - أيها الإنسان - بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع والبرهان الساطع على قدرة الخالق؛ حيث خلقك من نطفة وجعلك بشراً سوياً ثم ردك إلى أرذل العمر، أليس من قدر على خلق الإنسان وعلى هذا كله لم يعجز عن إعادته بعد موته!.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله، والله أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿وَالنِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ مجاز مرسل علاقته الحالية بإطلاق الحال وإرادة المحل.

- الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ للإنسان على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التوبيخ والعتاب.

- في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ استفهام تقريرى.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ - القسم بمواضع ثلاثة مقدسة هي مقام الأنبياء ومهبط الوحي، على أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم يردّه إلى أرذل العمر، وهو الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة، أو يردُّ بعض أفراده أسفل سافلين.

٢ - إقامة الدليل على البعث بعد الموت، فالقادر على ابتداء الخلق، قادر على الإعادة بعد الموت من باب أولى.

٣ - الله أتقن الحاكمين صنعا في كل ما خلق، وأحكم الحاكمين قضاء بالحق وعدلا بين الخلق.

الأسئلة

س ١: ما المراد بالتين والزيتون؟ وما وجه الإقسام بهما؟ وما الطور؟ وما سينين؟ وكيف تعرب؟.

س ٢: ما المراد بالبلد؟ وما المراد من أمنه؟ وما جواب القسم؟.

س ٣: ما نوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؟ وما المعنى؟ ولمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾؟.

س ٤: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾.

(ب) الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالَّذِينَ﴾.

س ٥: اذكر ما يُستفاد من السورة.

سورة العلق (مكية وهي: تسع عشرة آية)

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ١ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٢ ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ٣ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ٤
﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ٥

الحكمة في خلق الإنسان وتعليمه

عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد: هي أول سورة نزلت.

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ محل ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ النصب على الحال من ضمير ﴿أَقْرَأْ﴾. أي: اقرأ مفتتحًا باسم ربك، كأنه قيل: قل بسم الله ثم اقرأ. ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ لم يذكر لخلق مفعولًا؛ لأنَّ المعنى أَنَّ رَبَّكَ الَّذِي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه، أو تقديره: خلق كل شيء، فيتناول كل مخلوق؛ لأنَّه مطلق. وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق؛ لشرفه، ولأنَّ التنزيل إليه، ويجوز أن يُراد بقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ الإنسان؛ إلا أنَّه ذكر مبهمًا ثم مفسرًا؛ تفخيماً لخلقه، ودلالة على عجيب فطرته. ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ وإنما جمع ولم يقل: من علقه؛ لأنَّ الإنسان في معنى الجمع؛ والمراد به الجنس. ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ من كل كريم؛ ينعم على عباده النعم، ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه. ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ أي: علّم الإنسان الكتابة ﴿بِالْقَلَمِ﴾.

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبّه على فضل علم الكتابة؛ لما فيه من المنافع العظيمة، فما دُوّنت العلوم، ولا قُيِّدت الحكم، ولا ضُبطت أخبار الأولين،

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَفَ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾

ولا كُتِبَ اللَّهُ المُنزَّلَة إلا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به. ﴿ كَلَّا ﴾ ردعٌ لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه، وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾ إلى آخر السورة نزلت في أبي جهل^(١)، ﴿ أَنْ رَأَاهُ ﴾ أن رأى نفسه، ومعنى الرؤية هنا: العلم، ومفعول رأى الأول: هو الضمير، و﴿ اسْتَعْتَفَ ﴾ هو المفعول الثاني. وقوله: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴾ تهديدٌ للإنسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات، والرُّجعى: مصدر بمعنى الرجوع أي: إن رجوعك - أيها الإنسان - إلى ربك فيجازيك على طغيانك.

تهديد الطغاة ووعيدهم

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾ أي: أرايت أبا جهل ينهى محمداً ﷺ. ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴾ أي: أرايت إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله ﴿ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴾ أو كان أمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أي: أرايت إن كان ذلك الناهي مُكذِّباً بالحق معرضاً عنه كما نقول نحن؟! ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ أي: يطلع على أحواله من الهدى والضلال، فيجازيه على حسب حاله، وهذا وعيدٌ له.

(١) أخرجه أحمد، ومسلم.

﴿ كَلَّا لَئِن لَّرَبَّنَا لَسَفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾
﴿ كَلَّا لَا نُطِيعُكَ وَأَسْجُدُ وَأَقْرَبُ ﴾

﴿ كَلَّا ﴾ ردع لأبي جهل عن نهيه عن عبادة الله، وأمره بعبادة الأصنام ﴿ لَئِن لَّرَبَّنَا ﴾
عَمَّا هُوَ فِيهِ ﴿ لَسَفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ الناصية: شعر الجبهة، والسَّفَعُ: القبض على الشيء،
وجذبه بشدة، أي: لناخذنَّ بناصيته، ولنسحبَنَّ بها إلى النار ﴿ نَاصِيَةٍ ﴾ تُعْرَبُ
بدلاً من الناصية؛ لأنها وُصفت بالكذب والخطأ بقوله تعالى: ﴿ كَذِبَةٌ خَاطِئَةٌ ﴾.
﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ النادي: المجلس الذي يجتمع فيه القوم، والمراد
به هنا: أهل النادي، والزبانية: الشرط، جمع زبانية، من الزبن وهو الدفع، والمراد:
ملائكة العذاب. رُوي أَنَّ أَبَا جَهْلٍ مَرَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَصِلِي، فَقَالَ: أَلَمْ أَنهَكَ؟
فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَتَهْدِدُنِي وَأَنَا أَكْثَرُ أَهْلِ الْوَادِي نَادِيًا؟! فنزلت
الآية^(١). ﴿ كَلَّا ﴾ ردع لأبي جهل ﴿ لَا نُطِيعُكَ ﴾ أي اثبت على ما أنت عليه - أيها
الرسول - من عصيانه ﴿ وَأَسْجُدْ ﴾ أي: دُم واستمر على سجودك، يريد الصلاة
﴿ وَأَقْرَبْ ﴾ وتقرب إلى ربك بالسجود، فإنَّ أقرب ما يكون العبد من ربه إذا
سجد، كذا الحديث^(٢)، والله أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي بَنَى ﴾ ﴿ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴾ كناية، كنى بالعبد عن
رسول الله ﷺ، ولم يقل: ينهاك تفخيماً لشأنه وتعظيماً لقدره.

(١) أخرجه أحمد، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم.

- في قوله تعالى: ﴿ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ مجاز عقلي، أسند الكذب والخطأ إلى الناصية مجازاً، والمراد صاحبها؛ لأنه السبب.

- في قوله تعالى: ﴿ فَلَئِدْغُ نَادِيَهُ ﴾ مجاز مرسل علاقته المحلية، أي أهل ناديه، بإطلاق المحل وإرادة الحال.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ - فضل تعلم القراءة والكتابة؛ لأنهما أداة معرفة علوم الدين والوحي، وأساس تقدم العلوم والمعارف والآداب والثقافات، ونمو الحضارة.

٢ - من كرم الله تعالى وفضله: أن علّم الإنسان ما لم يكن يعلمه، لينقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

٣ - ذمّ طبع في الإنسان قبيح، وهو أنه ذو فرح وأسر، وبطّر وطغيان، إذا رأى نفسه قد استغنى، وكثر ماله.

٤ - تهديد الطغاة بالحشر والنشر، فإن الله تعالى يُجازي كل أحد بما عمل.

الأسئلة

س ١: ما محل قوله تعالى: ﴿بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾؟ وما مفعول ﴿حَلَقَ﴾ إن كان له مفعول؟ ولم حذف؟ وما المعنى إن لم يكن له مفعول؟.

س ٢: لِمَ خَصَّ الإنسان بالخلق بعد ما عمم؟ وإذا كان مفعول ﴿حَلَقَ﴾ الأول خاصاً فما تقديره؟ وما وجه ذكر خَلَقَ الإنسان بعده؟.

س ٣: ولم قال تعالى: ﴿مِنْ عَلَيَّ﴾ ولم يقل من علقته؟ وما مفعول ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾؟ وما وجه المِنَّة بقوله: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾؟.

س ٤: فيمَنْ نزل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾؟ ولمن ضمير الفاعل والمفعول في قوله تعالى: ﴿رَبَّاهُ﴾؟ وما ﴿الرُّجُوعَ﴾؟ وما نوع الاستفهام في ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾؟ وما المراد باسم الموصول وبالعبء؟.

س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ١ عَبْدًا﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٌ كَذِبَةٌ خَاطِئَةٌ﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾.

س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة القدر

(مكية وقيل مدنية وهي: خمس آيات)

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفٍ

شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾

فضل ليلة القدر

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ عَظَّمَ اللَّهُ الْقُرْآنَ حَيْثُ أَسْنَدَ أَنْزَالَهُ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَجَاءَ بِضَمِيرِهِ دُونَ اسْمِهِ الظَّاهِرِ؛ لِلاِسْتِغْنَاءِ عَنِ التَّعْرِيفِ بِهِ، وَرَفَعَ مَقْدَارَ الْوَقْتِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِيهِ.

ومعنى ليلة القدر: ليلة تقدير الأمور وقضائها، والقدر: بمعنى التقدير، أو سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِشَرَفِهَا عَلَى سَائِرِ اللَّيَالِي، وَهِيَ لَيْلَةُ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى الْأَرْجَحِ؛ كَذَا رُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَلَعَلَّ الدَّاعِيَ إِلَى إِخْفَائِهَا: أَنْ يُحْيِيَ مَنْ يَرِيدُهَا اللَّيَالِي الْكَثِيرَةَ؛ طَلَبًا لِمُوَافَقَتِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَدْرَكَهَا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»^(١). ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ أَي: لَمْ تَبْلُغْ مَعْرِفَتَكَ غَايَةَ فَضْلِهَا، ثُمَّ بَيَّنَّ لَهُ فَضْلَهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَسَبَبُ ارْتِقَاءِ فَضْلِهَا إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ: مَا يَوْجَدُ فِيهَا مِنْ تَنْزِيلِ الْمَلَائِكَةِ، وَالرُّوحِ، وَفَضْلِ كُلِّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، وَذِكْرٍ فِي تَخْصِيصِ هَذِهِ الْمُدَّةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَبَسَ السِّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ، فَعَجِبَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ ذَلِكَ وَتَقَاصَرَتْ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ،

(١) أخرجه مسلم.

﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾

فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي^(١). ﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ ﴾ إلى الأرض ﴿ وَالرُّوحُ ﴾ جبريل ﴿ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أي: تنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة ﴿ سَلَّمَ هِيَ ﴾ خبر ومبتدأ، أي: ما هي إلا سلامة، أي: لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير، ويقضي في غيرها بلاء وسلامة، أو ما هي إلا سلام؛ لكثرة تسليم الملائكة على المؤمنين في تلك الليلة ﴿ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ أي: إلى وقت طلوع الفجر، وقد حُرِّم من السلام الذين كفروا، والله أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- تكرر قوله تعالى: ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ ثلاث مرات؛ للتفخيم وزيادة العناية بها.

- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ يقصد به التفخيم

والتعظيم.

- في قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ ﴾ ذُكِرَ الخاص بعد العام، حيث ذُكِرَ

جبريل بعد الملائكة وهو منهم؛ للتنويه بقدره.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ - بدء نزول القرآن العظيم في ليلة القدر من ليالي رمضان المبارك.

٢ - ليلة القدر هي ليلة الشرف والتعظيم، وليلة الحكم والتقدير، يقدر الله فيها ما يشاء من أمره، إلى مثلها من السنة القابلة.

٣ - العمل في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم والواحدي.

٤ - تهبط الملائكة إلى الأرض في ليلة القدر، ويؤمنون على دعاء الناس، إلى وقت طلوع الفجر.

٥ - ليلة القدر ليلة أمن وسلام، وخير وبركة من الله تعالى، فلا يقدر الله في تلك الليلة إلا السلامة، وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسلامة.

الأسئلة

س ١: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أوجه كثيرة لتعظيم القرآن الكريم اذكرها.
س ٢: ماذا تعرف عن ليلة القدر؟ ولم أخفيت؟ وما وجه وصفها بهذا الوصف؟.

س ٣: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾؟ وبم فضّلت ليلة القدر؟.

س ٤: إلى أين تنزل الملائكة؟ وما المراد بالروح؟ وما إعراب ﴿سَلَّمْهُنَّ﴾؟.

س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) تكرر قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ثلاث مرات.

(ب) قوله تعالى: ﴿نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ﴾.

س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة البينة (مختلف فيها وهي: ثمان آيات)

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (١) رَسُولٌ
مَنْ اللَّهُ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

لا تكليف بلا بيان ولا عقوبة دون إنذار

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: كفروا بمحمد ﷺ. ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: اليهود والنصارى. ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ عبدة الأصنام. ﴿مُنْفَكِينَ﴾ منفصلين عن الكفر. ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ معنى البينة: الحجة الواضحة، والمراد بها: محمد ﷺ، ومعنى الآية: لم يتركوا كفرهم حتى يُبعث محمد ﷺ، فلما بُعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض.

﴿رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: محمد ﷺ، وتُعرَّب ﴿رَسُولٌ﴾ بدل من ﴿الْبَيِّنَةُ﴾. ﴿يَتْلُوا﴾ يقرأ عليهم. ﴿صُحُفًا﴾ قراطيس. ﴿مُطَهَّرَةً﴾ أي: من الباطل. ﴿فِيهَا﴾ أي: الصحف.

﴿كُتِبَ﴾ مكتوبات ﴿قِيمَةٌ﴾ أي: مستقيمة ناطقة بالحق والعدل. ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ المراد: أنهم تفرقوا، فمنهم من أنكر نبوته بغياً وحسداً، ومنهم من آمن. لكنه تعالى أفرد أهل الكتاب بعد ما جمع أولاً بينهم وبين المشركين؛ لأنهم كانوا على علم به؛ لوجوده في كتبهم، فإذا وُصفوا بالتفرق عنه، كان مَنْ لا كتاب له أولى.

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

﴿ وَمَا أُمِرُوا ﴾ يعني: اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ من غير شرك ونفاق ﴿ حُنَفَاءَ ﴾ مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الأديان الباطلة ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿ أي دين الملة القيمة.

وعيد الكفار ووعد الأبرار:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ قرأ نافع بهمزهما ﴿ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾، و﴿ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ - هكذا «البريئة» - والباقون على التخفيف - هكذا ﴿ الْبَرِيَّةِ ﴾ -.

﴿ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ يقيمون فيها ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ بقبول أعمالهم ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ بثوابها ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: الرضا ﴿ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة؛ لأن البرية: الخلق، واشتقاقها من بَرَأَ اللَّهُ الخلق، وقيل: اشتقاقها من البَرَى، وهو التراب، ولو كان كذلك لما قرأوا البريئة بالهمز، كذا قاله الزَّجَّاج، والله أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- في لفظ ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ استعارة تصريحية، حيث شبه تنزُّه الصحف عن الباطل بطهارتها عن الأنجاس.

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، و ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مقابلة بين عذاب الكفار، ونعيم الأبرار.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١ - إن أهل الكتاب والمشركين لم يتركوا كفرهم حتى بعث الله نبيه محمداً ﷺ، فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض.
- ٢ - فضل المؤمنين من البشر على الملائكة.

الأسئلة

س١: ما المقصود بأهل الكتاب؟ وما معنى ﴿مُنْفَكِينَ﴾؟ وما معنى ﴿الْبَيِّنَةُ﴾؟ وما المراد بها؟ وما معنى الآية بأسلوبك؟.

س٢: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾؟ وما موقعه من الإعراب؟ وما معنى ﴿قِيَمَةٌ﴾؟.

س٣: اشرح بإيجاز قوله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.

س٤: لمَ أفرد هنا أهل الكتاب بعد ما جمع أولاً بينهم وبين المشركين؟ وما معنى ﴿حُنَفَاءَ﴾؟ وما معنى ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ﴾؟.

س٥: كيف يرضى الله عن عباده؟ وكيف يَرْضُونَ عنه؟ وعلام يدل قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾؟ ومم اشتق لفظ ﴿الْبَرِيَّةِ﴾؟ وهل يصح اشتقاقه من البرى؟ ولماذا؟.

س٦: وضح السر البلاغي في لفظ ﴿مُطَهَّرَةً﴾.

س٧: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الزلزلة

(مختلف فيها وهي: ثمان آيات)

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾﴾

أهوال يوم القيامة:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أي: اضطربت اضطرابًا شديدًا، وهو الزلزال الذي ليس بعده زلزال.

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي: كنوزها وموتاهها جمع ثقل.

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ أي: لمْ زُلزلت الأرض هذه الزلزلة الشديدة وَلَفَّظَتْ مَا فِي بطنها؟ وذلك عند النفخة الثانية حين تُزلزل وتلفظ موتاهها أحياءً ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾ ، وناصبها ﴿تُحَدِّثُ﴾ أي: تحدث الخلق ﴿أَخْبَارَهَا﴾ فحذف أول المفعولين؛ لأنَّ المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أي: تحدث أخبارها بسبب إحياء ربك لها - أي إليها - وأمره إياها بالتحديث.

الجزاء على الخير والشر:

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف ﴿أَشْتَاتًا﴾ بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين، أو يصدرون عن الموقف أشتاتًا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ﴿لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: جزاء أعمالهم.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ عملاً يسيراً ﴿خَيْرًا﴾ تمييزاً ﴿يَرَهُ﴾ أي:

يرى جزاءه.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ قيل: هذا في الكفار والأول في

المؤمنين، وهذه أحكم آية، وسميت الجامعة، والله أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ﴾ إظهار في مقام الإضمار، لزيادة التقرير

والتوكيد.

- في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ استفهام للتعجب والاستغراب.

- في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ مقابلة.

ما يستفاد من السورة الكريمة

١ - الأرض تُحَدِّثُ أخبارها يوم القيامة.

٢ - الإنسان مجزي بعمله خيراً كان أو شراً، صغيراً كان أو كبيراً.

الأسئلة

س ١: ما معنى ﴿زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾؟ وما المقصود بأنثقالها؟ وما مفرد أثقال؟ وما إعراب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؟.

س ٢: مَنْ تحدّثه الأرض حينها؟ وما موقع ﴿أَخْبَارَهَا﴾ من الإعراب؟.

س ٣: لم حذف المفعول الأول في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾؟ وما نوع الباء في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾؟.

س ٤: ما معنى ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ﴾؟ وكيف يكونون أشتاتا؟ وما المقصود بقوله تعالى: ﴿لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾؟ وما إعراب خيراً؟.

س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ﴾.

(ب) قوله: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾.

س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة العاديات

(مختلف فيها وهي: إحدى عشرة آية)

﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا﴾ ١ ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾ ٢ ﴿فَالْمُغِيرَتِ صُبْحًا﴾ ٣ ﴿فَأَتْرَنَ بِهِ نَقْعًا﴾ ٤
﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ ٥

جحود النعم وإهمال الاستعداد للأخرة

﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا﴾ أقسم بخيل الغزاة تعدو فتصبح، والضُّبْح: صوت أنفاسها إذا عَدَوْنَ، وانتصاب ﴿صَبْحًا﴾ على أنه مفعول مطلق، والتقدير: يَضْبِحُنْ صَبْحًا. ﴿فَالْمُورِبَتِ﴾ توري نارَ الحُجَابِج، وهي ما ينقذح من حوافرها [كان الحُجَابِج رجلا من أحياء العرب، وكان من أبخل الناس، فبخل حتى بلغ به البخل أنه كان لا يوقد نارًا بليل، فإذا انتبه منتبه ليقتبس منها أطفالها، فكذلك ما أَوْرَت الخيل لا يُتَنَفَعُ به، كما لا يتنفع بنار الحُجَابِج].

﴿قَدْحًا﴾ قادحات صاكات بحوافرها الحجارة، والقدح: الصك، والإيراء: إخراج النار.

﴿فَالْمُغِيرَتِ﴾ تُغِير على العدو ﴿صُبْحًا﴾ في وقت الصبح ﴿فَأَتْرَنَ بِهِ نَقْعًا﴾ فهيجن بذلك الوقت غبارًا.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ بذلك الوقت ﴿جَمْعًا﴾ من جموع الأعداء، ووسطه بمعنى توسُّطه، وقيل: الضمير لمكان الغارة، أو للعدوي الذي دل عليه ﴿وَالْعَدِيَّتِ﴾، وعطف ﴿فَأَتْرَنَ﴾ على الفعل الذي وُضِع اسم الفاعل موضعه؛ لأنَّ المعنى: واللاتي عدون فأورين فأغرُن فأترن، وجواب القسم:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ ٦ ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ ٧ ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ٨ ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ٩ ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٠ ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ ١١ ﴿

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ لكفور، أي: إنَّه لنعمة ربه خصوصًا لشديد الكفران. ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ وإنَّ الإنسان ﴿ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ﴾ على كنوده ﴿ لَشَهِيدٌ ﴾ يشهد على نفسه، أو: وإنَّ الله على كنوده لشاهد، على سبيل الوعيد. ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ وإنَّه لأجل حب المال لبخيل ممسك، أو إنَّه لحب المال لقوي وهو لحب عبادة الله ضعيف. ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ ﴾ الإنسان ﴿ إِذَا بُعِثَ ﴾ بعث ﴿ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ من الموتى. ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ مُيِّز ما فيها من الخير والشر. ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ لعالم، فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر، وخص ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ بالذكر وهو عالم بهم في جميع الأزمان؛ لأنَّ الجزاء يقع يومئذ. والله أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾، ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾، ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ التأكيد بيان واللام لزيادة التقرير والبيان.

- في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ استفهام إنكاري للتهديد والوعيد.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

- ١ - على الإنسان أن يعترف بنعم ربه عليه.
- ٢ - الله عالم بنا مطلع علينا في جميع الأزمان.

الأسئلة

- س ١: بِمِ أَسْمِ اللّهِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؟ وَمَا الضُّبْحُ؟ وَعِلَامُ انْتِصَابِ ﴿صَبِحًا﴾؟.
- س ٢: مَا الْمَقْصُودُ بِالْمُورِيَّاتِ؟ وَمَا الْقَدْحُ؟ وَلَمْ سُمِّيَتْ مُغِيرَاتٌ؟ وَمَا مَعْنَى ﴿صَبِحًا﴾؟.
- س ٣: مَا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَتَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾؟ وَعِلَامُ يَعُودِ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾؟ وَأَيْنَ جَوَابُ الْقِسْمِ؟.
- س ٤: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾؟ وَمَنْ الشَّهِيدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾؟ وَمَا الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾؟
- س ٥: مَا مَعْنَى ﴿بُعْثِرَ﴾؟ وَمَا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾؟ وَلَمْ يَخْصُ ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ بِالذِّكْرِ؟.
- س ٦: وَضَحِ السَّرَّ الْبَلَاغِيَّ فِيمَا يَأْتِي:
- س ٧: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.
- س ٨: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾.
- س ٩: اذْكَرْ مَا يُسْتَفَادُ مِنَ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

سورة القارعة

(مكية وهي: إحدى عشرة آية)

﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝٥﴾

من أهوال القيامة

﴿الْقَارِعَةُ﴾ مبتدأ ﴿مَا﴾ مبتدأ ثانٍ ﴿الْقَارِعَةُ﴾ خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول، وكان حقه أن يقول: ما هي؟ وإنما كرر تفخيماً لشأنها. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ أي: أي شيء أعلمك ما هي؟ ومن أين علمت ذلك؟ ﴿يَوْمَ﴾ نصب بمضمر دلت عليه ﴿الْقَارِعَةُ﴾ أي: تفرع يوم ﴿يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار، وسمي فراشاً؛ لتفرُّشه وانتشاره.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ وشبه الجبال بالعهن، وهو الصوف المصبغ ألواناً؛ لأنها - أي الجبال - ألوان؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾^(١) وبالمنفوش منه، لتفرق أجزائها.

(١) سورة فاطر . الآية: ٢٧ .

﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا آدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾

جزاء المتقين وعقاب العاصين:

﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ باتباعهم الحق، وهي - أي: الموازين - جمع موزون، وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله، أو جمع ميزان، وثقلها: رجحانها.

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ ذات رضا، أو مرضية.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ باتباعهم الباطل.

﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ فمسكنه ومأواه النار، وقيل للمأوى أم على التشبيه؛

لأن الأم مأوى الولد ومفرغه

﴿ وَمَا آدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ الضمير يعود إلى ﴿ هَاوِيَةٌ ﴾، والهاء للسكت ثم

فسرها فقال ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ بلغت النهاية في الحرارة، والله أعلم.

من الاسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ تشبيهه، شبه الله

تعالى الناس في الآخرة بالفراش في الكثرة والانتشار.

- في قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ تشبيهه، شبه الله

تعالى الجبال في الآخرة بالصوف المصبغ ألوانا في التفتت والتفرق.

- في قوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ مجاز مرسل علاقته المحلية؛

لأن الذي يرضى بها الذي يعيش فيها.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

- ١- من ثقلت موازينه فاز ومن خفت موازينه خسر.
- ٢- النار التي توعد الله بها ليست كنار الدنيا بل هي نار بلغت النهاية في الحرارة.

الأسئلة

- س ١: ما إعراب قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ؟ ولم كرر لفظ القارعة؟.
- س ٢: بِمَ نُصِبَ ﴿يَوْمَ﴾؟ ولم شبه الناس بالفراش؟ ولماذا سُمِّي فراشا؟.
- س ٣: لِمَ شَبَّهَ الْجِبَالَ بِالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ؟ وما مفرد ﴿مَوَازِينُهُ﴾؟ وما معنى المفرد؟.
- س ٤: ما معنى ﴿رَاضِيَةً﴾؟ وما المراد بقوله: ﴿فَأُمَّهُ هَآوِيَةٌ﴾؟ وما معنى ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾؟.
- س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:
 - (أ) قوله تعالى: ﴿يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾.
 - (ب) قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾.
- س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة التكاثر

(مكية وهي: ثمان آيات)

﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾

التفاخر في الدنيا والسؤال عن الأعمال

﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ شغلكم التباري في الكثرة، والتباهي بما في الأموال والأولاد عن طاعة الله.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ حتى أدرككم الموت على تلك الحال، أو حتى زرتهم المقابر وعددتهم من في المقابر من موتاكم. ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في القبر، أو عند النزاع، سوء عاقبة ما كنتم عليه. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في القبور. ﴿كَلَّا﴾ تكرير الردع؛ للإنذار والتخويف ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، أي: لو تعلمون ما بين أيديكم ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ علم الأمر يقين، أي: كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور، لما أهاكم التكاثر، أو لفعلتم ما لا يوصف، ولكنكم ضلّال جهلة.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ هو جواب قسم محذوف، والقسم لتوكيد الوعيد ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ كرهه معطوفا ب(ثم)؛ تغليظاً في التهديد، وزيادة في التهويل، أو الأول بالقلب والثاني بالعين ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ أي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته.

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ عن الأمن والصحة فيم أفنيتموهما.

من الأسرار البلاغية:

- تكرر الإنذار في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾؛ للدلالة على أنَّ الإنذار الثاني أبلغ من الأول.

- كرر القسم معطوفاً بثم في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾؛ تغليظاً في التهديد، وزيادة في الوعيد.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١- تحذير العبد من الانشغال عن طاعة الله.
- ٢- لو أيقن الناس بالجزاء لفاعلوا ما لا يوصف من طاعة الله.
- ٣- العبد مسئول في الآخرة عن نعم الله عليه.

الأسئلة

- س ١: ما المراد بقوله تعالى: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾؟.
- س ٢: ما نوع ﴿كَلَّا﴾؟ وما معناها في هذا الموضع؟ ولم كرر ﴿كَلَّا﴾؟.
- س ٣: أين جواب ﴿لَوْ﴾؟ وما المعنى على هذا؟.
- س ٤: ما موقع ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ من الإعراب؟ ولم كرر ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ معطوفاً بـ ﴿ثُمَّ﴾؟ وما المراد بـ ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾؟.
- س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:
- (أ) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.
- (ب) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.
- س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة العصر (مختلف فيها وهي: ثلاث آيات)

﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

حال المؤمن والكافر

﴿وَالْعَصْرِ﴾ أقسم بصلاة العصر؛ لفضلها، ولأنَّ التكليف في أدائها أشق؛
لتهافت الناس في تجارتهم ومكاسبهم آخر النهار، واشتغالهم بمعاشهم،
أو أقسم بالعَيْبِيِّ كما أقسم بالضحى؛ لما فيها من دلائل القدرة، أو أقسم بالزمان لما
في مروره من أصناف العجائب. وجواب القسم ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ أي:
جنس الإنسان لفي خسران من تجارتهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا، فربحوا وسعدوا ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ بالأمر الثابت
الذي لا يسوغ إنكاره، وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله
﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عن المعاصي و على الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده.
﴿وَتَوَاصَوْا﴾ في الموضوعين فعل ماضٍ معطوف على ماضٍ قبله، والله أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ أي الناس؛ بدليل الاستثناء، فهو من إطلاق
البعض وإرادة الكل.

- التنكير في قوله تعالى: ﴿خُسْرٍ﴾ للتعظيم، أي في خُسْرٍ عظيم.

ما يستفاد من السورة الكريمة

- ١- فضل صلاة العصر.
- ٢- الإنسان في خسران إلا مَنْ آمَن، وعمل صالحاً، وثبت على الحق، وصبر على الأذى.
- ٣- الصبر أقسام ثلاثة: صبر عن المعاصي، وصبر على الطاعات، وصبر على البلاء.

الأسئلة

- س ١: ما المُقسَم به في صدر السورة؟ ولم أقسم به؟ وما المُقسَم عليه؟.
- س ٢: لماذا استثنى المؤمن الصالح من الخسران؟.
- س ٣: ما المراد بالحق، والصبر؟ وما إعراب ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ في الموضعين؟.
- س ٤: وضح السر البلاغي فيما يأتي:
 - (أ) قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾.
 - (ب) قوله: ﴿حُسْرٍ﴾.
- س ٥: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الهمزة

(مكية وهي: تسع آيات)

﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٌ ۚ لُْمَزَةٌ ۙ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِئَةِ ﴿٧﴾

الطعان العياب للناس وجزاؤه

﴿وَبِئْسَ﴾ مبتدأ خبره ﴿لِكُلِّ هُمْزَةٍ﴾ أي الذي يعيب الناس من خلفهم ﴿لُْمَزَةٌ﴾ أي: مَنْ يعيهم مواجهة. قيل: نزلت في الأخنس بن شريق، وكانت عادته الغيبة والوقية، وقيل: في أمية بن خلف، وقيل: في الوليد ابن المغيرة، ويجوز أن يكون السبب خاصًا والوعيد عامًا؛ ليتناول كلَّ مَنْ باشر ذلك الفعل القبيح.

﴿الَّذِي﴾ بدل من (كل)، أو نصب على الذم. ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أي: جعله عُدَّة لحوادث الدهر.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي: تركه خالداً في الدنيا لا يموت ﴿كَلَّا﴾ ردع له عن حُسابه ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾ أي: الذي جمع ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ في النار التي شأنها أَنْ تُحطِّمَ كلَّ ما يُلقى فيها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ تعجيب وتعظيم ﴿نَارُ اللَّهِ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هي نار الله ﴿الْمَوْقَدَةُ﴾ نعتها ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِئَةِ﴾ يعني: أنَّها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم، وتطلع على أفئدتهم، وهي أوساط القلوب، ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد، وقيل:

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمدَدَةٍ﴾

خص الأفتدة؛ لأنّها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة، ومعنى اطلّاع النار عليها: أنّها تشتمل عليها ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: الحطمة ﴿مُّوَصَّدَةٌ﴾ مطبقة. ﴿فِي عَمَدٍ مُّمدَدَةٍ﴾ أي: تُوصد عليهم الأبواب، وتُمدد على الأبواب العمد؛ استيثاقاً في استيثاق، والله أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- ﴿هُمَزَةٌ لُّمَزَةٌ﴾ من صيغ المبالغة، على وزن: فُعلة، كُنُومة، وعُيبة وسُحرة وضُحكة.

- تنكير ﴿مَالًا﴾ للتفخيم، أي جمع مالاً كثيراً.

- في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطْمَةُ﴾؟ الاستفهام للتفخيم والتهويل لنار جهنم.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١- يَحْرُمُ على الإنسان أن يعيب أخاه.

٢- يجب على الإنسان أن يُطهّر قلبه من كل ما يؤدي إلى اطلّاع النار عليه.

الأسئلة

س ١: إعراب قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، وما الفرق بين ﴿هُمَزَةٍ﴾ و﴿لُّمَزَةٍ﴾؟.

س ٢: هل الوعيد في الآية عامٌّ أم خاصٌّ؟ وما موقع ﴿الَّذِي﴾ من الإعراب؟ وما معنى ﴿وَعَدَّدَهُ﴾؟.

س ٣: ما المراد بقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾؟ وما نوع ﴿كَلَّا﴾؟ وما معناها هنا؟ ولم سميت النار حطمة؟.

س ٤: ما موقع ﴿نَارُ اللَّهِ﴾ من الإعراب؟ وما إعراب الموقدة؟ وما معنى ﴿تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ﴾؟ ولم خصَّ ﴿الْأَفْنِدَةَ﴾ بالذكر؟ وما معنى ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾؟ وما المقصود بقوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾؟.

س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) تنكير ﴿مَالًا﴾.

(ب) قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطْمَةُ﴾.

س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الفيل
(مكية وهي: خمس آيات)

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾

قصة أصحاب الفيل

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ ﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بـ ﴿فَعَلَ﴾ لا بـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾
﴿تَرَ﴾ لما في ﴿كَيْفَ﴾ من معنى الاستفهام، والجملة سَدَّتْ مَسَدَّ مَفْعُولِي ﴿تَرَ﴾؛
وفي ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعجيب؛ أي: عَجَبَ اللهُ نبيه مِنْ كُفْرِ العرب، وقد شَاهَدَتْ
هذه العظمة من آيات الله. ﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ورد ما خلاصته أن النجاشي ملك
الحبشة، وهو أَصْحَمَةُ جَدِّ النجاشي الذي آمن بالنبي ﷺ كان بعث أبرهة أميرًا
على اليمن، فأقام به واستقامت له الكلمة هناك، وبنى كنيسة؛ ليصرف إليها
الحُجَّاج من مكة، فأحدث رجل مِنْ كِنَانَةَ فيها، فحلف أبرهة ليهدمنَّ الكعبة،
فجاء مكة بجيشه على أفيال، فحين توجهوا لهدم الكعبة، أرسل الله عليهم ما
قَصَّته السورة، وكان ذلك عام مولد النبي ﷺ.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ﴾ في تضييع وإبطال؛ يعني: أنهم كادوا البيت أولاً
ببناء كنيسة القليس ليصرفوا وجوه الحُجَّاج إليها، فُضِّلَ كَيْدَهُمْ بِإِقْبَاعِ الْحَرِيقِ
فيها، وكادوه ثانيًا بإرادة هدمه، فُضِّلَ كَيْدَهُمْ بِإِرْسَالِ الطَّيْرِ عَلَيْهِمْ.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ الواحدة إبالة، أي: جماعات من ههنا وجماعات

من ههنا.

﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾

﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ أي: الأجر^(١). ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾

زرع أكله الدود.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ الاستفهام للتقرير والتعجيب.

- في قوله: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ تشبيه مرسل مجمل، ذكرت الأداة،

وحذف وجه الشبه.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١- الله تعالى حفظ البيت الحرام من كيد أعدائه على مر العصور.

٢- انتقام الله من أعدائه أليم شديد.

(١) الأجر: الطين الصلب، راجع تاج العروس.

الأسئلة

- س ١: ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؟.
- س ٢: ما إعراب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾؟ وما معنى ﴿تَضَلَّلِ﴾؟.
- س ٣: ما مفرد ﴿أَبَائِلَ﴾؟ وما معناها؟ وما السجّل؟ وما العصف المأكول؟.
- س ٤: وضّح السرّ البلاغيّ في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.
- س ٥: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة قريش
(مكية وهي: أربع آيات)

﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ۝١﴾ إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٢﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿﴾

التذكير بنعم الله على قريش

﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾ متعلق بقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين، أي: إنَّ نعم الله عليهم لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة، أو متعلق بما قبله، أي: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قُرَيْشٍ، يعني: أنَّ ذلك الإِتلاف لهذا الإيلاف، والمعنى: أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم؛ ليتسامع الناس بذلك فيحترمواهم ويهابوهم؛ حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم، فلا يجترئ أحد عليهم.

﴿إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ نصب الرحلة بـ ﴿إِيَّاهُمْ﴾ مفعولاً به، وأراد رحلتي الشتاء والصيف؛ فأفرد لأمن الإلباس، وكانت لقريش رحلتان، يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون^(١)، ويتجرون، وكانوا في رحلتهم آمنين؛ لأنهم أهل حرم الله فلا يُتعرَّض لهم، وغيرهم يُغار عليهم.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٢﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿التنكير في ﴿جُوعٍ﴾، و﴿خَوْفٍ﴾؛ لشدهما، يعني: أطعمهم بالرحلتين

(١) من الميرة وهي الطعام يجمعه الإنسان لأهله.

من جوع شديد كانوا فيه قبلهما، وآمنهم من خوف عظيم، وهو خوف أصحاب الفيل، أو خوف التَّخَطُّفِ في بلدهم ومسايرهم، وقيل: كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة. ﴿وَأَمَّنَّهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ الجذام فلا يصيبهم ببلدهم، وقيل: ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه السلام.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿الْشِّتَاءَ وَالصَّيْفَ﴾، و﴿جُوعٍ﴾ و﴿خَوْفٍ﴾ طباق.

- في قوله تعالى: ﴿لِيَلْفِ قُرَيْشٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ تقديم ما حقه التأخير، والأصل: ليعبدوا ربَّ هذا البيت، لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فقدم الإيلاف، تذكيراً بالنعمة.

- تنكير ﴿جُوعٍ﴾، و﴿خَوْفٍ﴾، لبيان شدتهما، أي جوع وخوف شديدين.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١- على الإنسان أن يتذكر نعم ربه عليه.
- ٢- على الإنسان أن يشكر الله على نعمه.
- ٣- شكر النعمة يكون بامثال أوامر المنعم واجتناب نواهيها.
- ٤- نعمتا القوت والأمن من أعظم النعم.

الأسئلة

- س ١: بم يتعلق قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾؟ وما المعنى بأسلوبك؟.
- س ٢: بم نصب ﴿رِحْلَةَ﴾؟ وما المراد بها؟ ولم أفرد ولم يثن؟.
- س ٣: لم نكر لفظي ﴿جُوع﴾، و﴿خَوْفٍ﴾؟ وما الخوف الذي آمنهم الله منه في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّنَّهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾؟
- س ٤: وضح السر البلاغي فيما يأتي:
- (أ) قوله تعالى: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾.
- (ب) قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾.
- س ٥: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الماعون

(مختلف فيها وهي: سبع آيات)

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾
وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

عقاب المكذب بالدين والمرائي بعمله

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾ أي: هل عرفت الذي يكذب بالجزاء
مَنْ هُوَ؟ إن لم تعرفه ﴿فَذَلِكَ الَّذِي﴾ يكذب بالجزاء هو الذي ﴿يَدْعُ
الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه دفعًا عنيفًا بجفوة وأذى، ويرده ردًا قبيحًا بزجر وخشونة.
﴿وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ ولا يحثُّ أهله على بذل طعام المسكين.
جعل علامة التكذيب بالجزاء: منَع المعروف، والإقدام على إيذاء الضعيف، أي:
لو آمن بالجزاء، وأيقن بالوعيد؛ لخشي الله وعقابه، ولم يُقدم على ذلك، فحين
أقدم عليه دل أنه مكذب بالجزاء. ثم وصل به قوله:

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ
يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ يعني: بهذا المنافقين، أي: لا يُصلُّون سرًّا؛
لأنهم لا يعتقدون وجوبها، ويُصلُّون علانيةً رياءً، وقيل: ﴿فَوَيْلٌ﴾ للمنافقين
الذين يُدخلون أنفسهم في جملة المصلِّين صورةً وهم غافلون عن صلاتهم، وأنهم
لا يريدون بها قُرْبَةً إلى ربهم، ولا تأديَةً للفرض، فهم ينخفصون ويرتفعون ولا
يدرون ماذا يفعلون، ويُظهرون للناس أنهم يُؤدِّون الفرائض، ويمنعون الزكاة
وما فيه منفعة.

والمراعاة: مفاعلة من الإراءة؛ لأنَّ المرأى يُري الناس عمله، وهم يُرونه الشناء عليه والإعجاب به، ولا يكون الرجل مرأياً بإظهار الفرائض؛ فمن حقها الإعلان بها؛ والإخفاء في التطوع أولى، فإن أظهره قاصداً للاقتداء به كان جميلاً، والمعون: الزكاة، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما يستعار في العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة^(١) ونحوها. وعن عائشة رضي الله عنها: الماء والنار والملح. والله أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ استفهام يراد به تشويق السامع إلى الخبر والتعجب منه.

- في قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ إيجاز بالحذف، حذف منه الشرط، أي: إن أردت أن تعرفه فذلك الذي يدع اليتيم.

- في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمرة، والأصل ﴿فَوَيْلٌ﴾ لهم؛ زيادة في التقبيح.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١- التصديق بالجزاء يتطلب امتثالاً للأمر واجتناباً للنهي.

٢- تحريم الرياء وذم المرأين.

٣- إخلاص الأقوال والأعمال لله وحده.

٤- الحرص على نفع الناس.

٥- تحريم إيذاء اليتيم.

(١) هي: المغرفة تاج العروس مادة قدح ٧/ ٤٠.

الأسئلة

- س ١: ما معنى ﴿يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾؟ وما دُعُ اليتيم؟.
- س ٢: ما علامة التكذيب بالدين؟ ولماذا؟.
- س ٣: ما المراد بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؟.
- س ٤: لِمَ سُمِّيَ المرئي بذلك؟ وهل في إظهار الفرائض رياء؟ ولماذا؟ وما حكم إظهار التطوع؟ وما الماعون؟.
- س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:
- (أ) قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾.
- (ب) قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾.
- س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الكوثر (مكية وهي: ثلاث آيات)

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ
الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

منحُ مُعْطَاةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَبَيَانُ خَسَارَةِ شَانِيئِهِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ هو المَفْرَطُ الكَثْرَةُ، وقيل: «هو نهر في الجنة، أحلى من العسل، وأشدُّ بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، حافتاه الزَّبْرَجْدُ، وأوانيه من فضة»^(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنه: هو الخير الكثير؛ فقليل له: إن ناسًا يقولون: هو نهر في الجنة؛ فقال: هو من الخير الكثير^(٢).

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ فاعبد ربَّكَ، الذي أعزك بإعطائه، وشرفك، وصانك مِنْ مَنَنِ الخلق، مراغمًا لقومك الذين يعبدون غير الله ﴿وَأَنْحَرْ﴾ لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفاً لعبدة الأوثان في النحر لها.

﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ﴾ إِنَّ مَنْ أَبْغَضَكَ مِنْ قَوْمِكَ بِمُخَالَفَتِكَ لَهُمْ ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ المنقطع عن كل خير لا أنت؛ لأنَّ كل مَنْ يُولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، وَذِكْرُكَ مرفوع على المنابر، وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر، يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف؛ فمثلك لا يقال له أبتَر، إنما الأبتَر هو شانتك المنسي في الدنيا والآخرة، والأبتَر: الذي لا عقب له، وهو خبر ﴿إِنَّكَ﴾ و﴿هُوَ﴾ ضمير فصل.

(١) أخرجه البخاري ومسلم، «بمعناه».

(٢) أخرجه البخاري.

من الأسرار البلاغية:

- ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ بصيغة الجمع الدالة على التعظيم، وفيه تصدير الجملة بحرف التأكيد الجاري مجرى القسم؛ لأن أصلها: إن ونحن.
- ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ وعبر بصيغة الماضي المفيدة للوقوع، ولم يقل: سنعطيك؛ للدلالة على تحقق وقوع الوعد؛ مبالغة، كأنه حدث ووقع.
- ﴿الْكَوْثَرَ﴾ صيغة مبالغة على وزن فَوْعَل.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

- ١- منح النبي ﷺ مناقب كثيرة، وخيرا عظيما، منه النهر في الجنة، والحوض في الموقف.
- ٢- مقابلة نعم الله بالشكر.
- ٣- مبغض رسول الله ﷺ هو المنقطع عن كل خير.

الأسئلة

- س ١: ما معنى الكوثر؟ وما المراد به؟.
- س ٢: ما معنى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾؟ وما معنى ﴿شَانِكَ﴾؟.
- س ٣: ما المقصود بـ ﴿الْأَبْتَرُ﴾؟ وما إعرابه؟ وما موقع ﴿هُوَ﴾ من الإعراب؟.
- س ٤: وضح السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ﴾.
- س ٥: اذكر ما يُستفاد من السورة.

سورة الكافرون
(مكية، وهي: ست آيات)

﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ١ ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ٢ ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ٣ ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴾ ٤ ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ٥ ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

البراءة من الشرك والكفر

﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكَافِرُونَ ﴾ المخاطبون كفرةً مخصوصون قد علم الله أنهم لا يؤمنون.

﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ أي: لستُ في حالي هذه عابداً ما تعبدون ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴾ الساعة ﴿ مَا أَعْبُدُ ﴾ يعني: الله ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴾ ولا أعبد فيما أستقبل من الزمان ما عبدتم ﴿ وَلَا أَنْتُمْ ﴾ فيما تستقبلون ﴿ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ وذكر بلفظ ﴿ مَا ﴾؛ لأنَّ المراد به الصفة، أي: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق، أو ذكر بلفظ ﴿ مَا ﴾؛ ليتقابل اللفظان. ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ لكم شرككم ولي توحيدي.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿ يَتَّيِبُهَا الْكَافِرُونَ ﴾ خطاب بالوصف؛ للتوبيخ والتشنيع.

- في قوله تعالى: ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ طباق السلب، فالأول نفي والثاني إثبات.

- في قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ مقابلة بين الجملتين في الاستقبال.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١- البراءة من الشرك والكفر.
- ٢- اختلاف المعبود واختلاف العبادة بين المسلمين وغيرهم
- ٣- الكفر كله ملة واحدة في مواجهة الإسلام؛ لأنَّ الدين الحق المقبول عند الله هو الإسلام، وهو الإخلاص لله والتوحيد.

الأسئلة

- س ١: مَنْ المخاطبون بهذه السورة؟ وهل في السورة تكرار؟ وما معنى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾؟.
- س ٢: وضح السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.
- س ٣: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة النصر
(مدنية وهي: ثلاث آيات)

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

الإعلام بقرب أجل الرسول ﷺ:

﴿إِذَا﴾ منصوب بـ ﴿فَسَبِّحْ﴾، وهو لما يستقبل، والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة.

﴿جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ النصر: الإغاثة والإظهار على العدو، والفتح: فتح البلاد، والمعنى: نصر رسول الله ﷺ على العرب، أو على قريش وفتح مكة، أو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم. ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾ هو حال من الناس، على أن ﴿وَرَأَيْتَ﴾ بمعنى أبصرت أو عرفت، أو ﴿يَدْخُلُونَ﴾ مفعول ثانٍ على أن ﴿وَرَأَيْتَ﴾ بمعنى علمت. ﴿فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أفواجًا: هو حال من فاعل يدخلون، وجواب ﴿إِذَا﴾ ﴿فَسَبِّحْ﴾، أي: إذا جاء نصر الله إياك على من عاداك، وفتح البلاد، ورأيت أهل اليمن يدخلون في ملة الإسلام جماعات كثيرة، بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدًا واحدًا واثنين اثنين ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فقل: سبحان الله حامدًا له، أو فصلًا له ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ تواضعًا وهضمًا للنفس، أو دُم على الاستغفار ﴿إِنَّهُ﴾ كان ﴿لَمْ يَزَلْ﴾ ولم يزل ﴿تَوَّابًا﴾ التواب: الكثير القبول للتوبة، لجميع العباد الكثير

الفعل للتوبة، ويُروى أنَّ عمر رضي الله عنه لَمَّا سمعها بكى، وقال: الكمال دليل الزوال، وعاش رسول الله صلى الله عليه وآله بعدها سنتين، والله أعلم

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ذكر الخاص بعد العام، فإنَّ نصر الله يشمل جميع الفتوحات، فعطف عليه فتح مكة؛ تعظيماً لشأنه.

- ﴿دِينِ اللَّهِ﴾ هو الإسلام، وأضافه تعالى إليه، تشریفاً وتعظيماً، مثل: بيت الله، وناقة الله.

- ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ صيغة مبالغة على وزن (فَعَّال).

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١- كل نعمة من الله تعالى تستوجب الشكر والحمد والثناء على الله بما هو أهله.

٢- الإكثار من الصلاة، والتسبيح لله، أي تنزيه الله عن كل ما لا يليق به ولا يجوز عليه.

٣- الله تواب رحيم.

الأسئلة

- س ١: ما إعراب ﴿إِذَا﴾؟ وعلام يدل الإعلام بالنصر والفتح قبل حدوثها؟
س ٢: ما الفرق بين النصر والفتح؟ وما موقع ﴿يَدْخُلُونَ﴾ من الإعراب؟
س ٣: ما إعراب ﴿أَفْوَاجًا﴾؟ وما معنى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؟ وما دلالة لفظ ﴿تَوَابًا﴾؟

س ٤: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿دِينِ اللَّهِ﴾.

س ٥: اذكر ما يُستفاد من السورة.

سورة المسد

(مكية وهي: خمس آيات)

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾

جزاء أبي لهب وامراته

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ التَّبَابُ: الهلاك، والمعنى: هلكت يداه؛ لأنه فيما يُروى أخذ حجراً ليرمي به رسول الله ﷺ ﴿وَتَبَّ﴾ وهلك كله، أو جعلت يداه هالكيتين، والمراد: هلاك جملته؛ كقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمْتِ يَدَاكَ﴾^(١)، ومعنى ﴿وَتَبَّ﴾: وكان ذلك وحصل.

رُوي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢)، رقى النبي ﷺ الصفا، وقال: يا صباحاه؛ فاستجمع إليه الناس من كل أوب، فقال ﷺ: «يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، إن أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، قال: «فإني نذير لكم بين يدي الساعة»؛ فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا دعوتنا؟ فنزلت^(٣)، وإنما كنّاه، والتكنية تكريمة؛ لاشتهاره بها دون الاسم، أو لكرهه اسمه، فاسمه عبد العزى، أو لأن ماله إلى نار ذات لهب، فوافقت حاله كنيته. ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ ﴿مَا﴾ للنفي ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ مرفوع، و ﴿مَا﴾ الثانية موصولة أو مصدرية، أي: ومكسوبه أو وكسبه.

(١) سورة الحج . الآية: ١٠ .

(٢) سورة الشعراء . الآية: ٢١٤ .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

﴿ سَيَصِلَنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ (٣) وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ
مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

أي: لم ينفعه ماله الذي ورثه من أبيه، والذي كسبه بنفسه. ﴿ سَيَصِلَنَّ نَارًا ﴾ سيدخل ﴿ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ تُوقد ﴿ وَأَمْرَاتُهُ ﴾ هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك^(١) فتنثرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ، وقيل: كانت تمشي بالنميمة، فتشعل نار العداوة بين الناس. ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ حال، أو خبر آخر، والمسد: الذي فُتل من الحبال فتلاً شديداً من ليف كان أو جلد أو غيرهما والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ مجاز مرسل، أطلق الجزء وأراد الكل.
- في قوله تعالى: ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ استعارة، استُعير هذا التعبير للنميمة بين الناس.
- قوله تعالى: ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ منصوب على الذم، أي: أخص بالذم حمالة الحطب.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١ - بيان عذاب أبي لهب وزوجته أم جميل، ومآلهما في الدارين؛ لشدة عداوتهما لرسول الله ﷺ.

(١) الحسك: جمع حسكة وهي شوكة صلبة معروفة. النهاية ١/ ١٨٦.

٢ - معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزلت السورة وأخبرت عن أبي لهب وزوجه بالشقاء وعدم الإيمان، لم يُقيض لهما أن يُؤمنا، لا ظاهرا ولا باطنا، ولا سرا ولا علنا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة.

الأسئلة

س ١: ما التَّبَاب؟ وما سبب نزول السورة؟ ولم ذُكر أبو لهب بكنيته؟.

س ٢: ما نوع ﴿مَا﴾ الأولى والثانية في قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ﴾؟.

س ٣: ما المراد بالآية السابقة؟ ومَنْ امرأته؟ ولم وصفت بأنها ﴿حَمَّالَةٌ أَلْحَطَبِ﴾؟.

س ٤: ما موقع ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ من الإعراب؟ وما معناه؟.

س ٥: وضع السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿يَدَا أَيْ لَهَبٍ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ أَلْحَطَبِ﴾.

س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الإخلاص

(أربع آيات مكية عند الجمهور، وقيل: مدنية عند أهل البصرة)

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾

توحيد الله وتنزيهه

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ضمير الشأن و ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو الشأن، كقولك: هو زيد منطلق، كأنه قيل: الشأن هذا، وهو أن الله واحد لا ثاني له، ومحل ﴿هُوَ﴾ الرفع على الابتداء، والجملة هي الخبر.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ هو السيد المقصود في الحوائج على الدوام من صمد إليه إذا قصد ولجئ إليه.

﴿لَمْ يَكِدْ﴾ لأنه لا يُجانس، حتى تكون له من جنسه صاحبة، فيتوالدا، وقد دل على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾^(١)، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأن كل مولودٍ محدث وجسم، وهو قديم لا أول لوجوده. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ولم يكافئه أحد، أي: لم يماثله.

من الأسرار البلاغية:

- ذكر الاسم الجليل بضمير الشأن ﴿هُوَ﴾؛ للتعظيم والإجلال.

- في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أسلوب قصر وحصر طريقته تعريف الطرفين.

(١) سورة الأنعام. الآية: ١٠١.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١ - اللّٰه غني بذاته كريم رحيم، تحتاج إليه جميع الخلائق في قضاء الحوائج، متصف بجميع صفات الكمال، ونعوت الجلال.
- ٢ - اللّٰه أحد فرد، ليس له شيء من جنسه، ولم يلد أحدًا، وليس له لاحق يُأثله.
- ٣ - اللّٰه قديم أولي أزلي غير مسبوق بالعدم، فلا والد له، ولا سابق له.
- ٤ - اللّٰه لا شبيه له في الوجود ولا نظير ولا صاحبة ولا مثل.

الأسئلة

س ١: ما معنى ﴿الصَّكْمُ﴾؟ ولماذا وُصف الله بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ

وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾؟ وما معنى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾؟.

س ٢: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) ذِكر الاسم الجليل بضمير الشأن ﴿هُوَ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّكْمُ﴾.

س ٣: اذكر ما يُستفاد من السورة.

سورة الفلق

(مختلف فيها وهي: خمس آيات)

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

الاستعاذة من شر المخلوقات

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ أي: الصبح، أو الخلق.

﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ أي: النار والشيطان، و﴿ مَا ﴾ موصولة، والعائد محذوف، أو مصدرية، ويكون الخلق بمعنى المخلوق. ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ الغاسق: الليل إذا اشتد ظلامه، ووقوبه: دخول ظلامه في كل شيء. وعن عائشة رضي الله عنها: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي، فأشار إلى القمر، فقال: «تعوذي بالله من شر هذا، فإنه الغاسق إذا وقب»^(١).

﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ النفاثات: النساء، أو النفوس، أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عُقَدًا في خيوطٍ ويتنفثن عليها ويرقن. والنَّفْث: النفخ مع ريق، وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في إنكار تحقق السحر وظهور أثره.

﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ أي: إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه لأنه إذا لم يظهر في ضرر يعود منه على من حسده، بل هو الضار لغيره لاغتهامه بسرور

غيره .

(١) أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۚ﴾ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۚ﴾ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۚ﴾ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۚ﴾ تكرر كلمة ﴿شَرِّ﴾ أربع مرات في السورة؛ للتنبيه على قبح وشناعة هذه الأوصاف.
- في قوله تعالى: ﴿شَرِّ غَاسِقٍ ۚ﴾، ﴿شَرِّ النَّفَّاثَاتِ ۚ﴾، ﴿شَرِّ حَاسِدٍ ۚ﴾ ذكر الخاص بعد العام وهو قوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۚ﴾.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١ - تعليم الناس كيفية الاستعاذة من كل شر في الدنيا والآخرة.
- ٢ - الاستعاذة من الغاسق والنفاثات والحاسد إشعار بأن شر هؤلاء أشد.

الأسئلة

- س ١: ما الفلق؟ وما نوع ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾؟.
- س ٢: ما الغاسق؟ وما وقوبه؟ ومنّ النفاثات؟ ولم سُمّين بذلك؟ وما معنى ﴿إِذَا حَسَدَ﴾؟.
- س ٣: وضح السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ٢ ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ٣ ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾.
- س ٤: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الناس
(مختلف فيها وهي: ست آيات)

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾

الاستعاذة من شر الشيطان:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أي: مربيهم ومصلحهم ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾
مالكهم ومدبر أمورهم.

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ معبودهم، ولم يكتف بإظهار المضاف إليه مرة واحدة؛ لأنَّ
قوله: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ عطف بيان لرب الناس؛ لأنه يقال
لغيره رب الناس وملك الناس، وأمَّا إله الناس، فخاص به لا شركة فيه، وعطف
البيان؛ للبيان؛ فكأنه مظنة للإظهار دون الإضمار، وإنَّما أُضيف الرب إلى الناس
خاصة، وإن كان رب كل مخلوق؛ تشریفاً لهم، ولأنَّ الاستعاذة وقعت من شر
الموسوس في صدور الناس، فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم
الذي يملك عليهم أمورهم، وهو إلههم ومعبودهم. ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾
هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأمَّا المصدر فوسواس
- بالكسر - كالزلزال، والمراد به: الشيطان؛ سُمِّيَ بالمصدر؛ كأنه وسوسة
في نفسه؛ لأنها شغله الذي هو عاكف عليه، أو أُريد ذو الوسواس، والوسوسة:
الصوت الخفي. ﴿الْخَنَّاسِ﴾ الذي عادته أن يخنس، منسوب إلى الخنوس
وهو التأخر، فإذا ذكر الإنسان ربَّه ولي الشيطان وخنس.

﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ في محل الجر على الصفة، أو الرفع، أو النصب على الشتم، وعلى هذين الوجهين، أي: (الرفع والنصب)؛ يحسن الوقف على الخناس. ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جنِّي وإنسي؛ كما قال تعالى: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^(١).

رُوي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ فَمَرَضَ، فَجَاءَهُ مَلَكَانِ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا بِأَلِهٍ؟ فَقَالَ: طَبٌّ، مَرَضٌ: كَمَا يُقَالُ لِلدَّبَّاحِ: سَلِيمٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لِبَيْدِ ابْنِ أَعْصَمِ الْيَهُودِيِّ، قَالَ: وَبِمِ طَبَّهُ؟ قَالَ: بِمُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ - الْمُشَاطَةُ: الشَّعْرُ الَّذِي يَسْقُطُ مِنَ الرَّأْسِ عِنْدَ تَسْرِيحَتِهِ^(٢) - فِي جُفٍّ طَلَعَةٍ^(٣) تَحْتَ رَاعُوفَةٍ^(٤) فِي بئرِ ذِي أَرْوَانَ، فَانْتَبَهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ زَبِيرًا وَعَلِيًّا وَعَمَارًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ، فَنَزَحُوا مَاءَ الْبئرِ وَأَخْرَجُوا الْجُفَّ، فَإِذَا فِيهِ مُشَاطَةٌ رَأْسَهُ، وَأَسْنَانٌ مِنْ مَشْطِهِ، وَإِذَا فِيهِ وَتَرٌ مُعْقَدٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مَغْرُوزَةٌ بِالْإِبْرِ، فَنَزَلَتْ هَاتَانِ السُّورَتَانِ، فَكَلَّمَا قَرَأَ جَبْرِيلُ آيَةَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، حَتَّى قَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ انْحِلَالِ الْعُقْدَةِ الْأَخِيرَةِ كَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ، وَجَعَلَ جَبْرِيلُ يَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُؤْذِيكَ^(٥)، وَهَذَا جَوْزُوا الْإِسْتِرْقَاءَ بِمَا كَانَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا بِمَا كَانَ بِالسُّرْيَانِيَّةِ وَالْعَبْرَانِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ اعْتِقَادُهُ وَالاعْتِمَادُ عَلَيْهِ.

(١) سورة الأنعام . الآية: ١١٢ .

(٢) شرح النووي ٣ صحيح مسلم ١٧٧/١٤ .

(٣) الجف: وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذي يكون عليه، شرح النووي: ١٧٧/١٤ .

(٤) حجر يوضع في أسفل البئر ليجلس عليها من ينظف البئر، فتح البادي ١/١٢٣ - ١/٢٣٤ .

(٥) أخرجه البخاري ومسلم .

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا وأقوالنا، ومن شر ما عملنا وما لم نعمل، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ونبيه وصفيه، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الأنام وأصحابه مفاتيح دار السلام صلاة دائمة ما دامت الليالي والأيام.

من الأسرار البلاغية:

- الإضافة في قوله تعالى: ﴿يَرْبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢﴾ إِلَهِي النَّاسِ ﴿﴾؛ للتشريف والتكريم والاستعانة، فقد أضيف الرب إلى الناس؛ لأن الاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم.

- تكرار لفظ ﴿النَّاسِ﴾ زيادة في التكريم والعون، ومزيد البيان، والإشعار بشرف الإنسان.

- في قوله تعالى: ﴿الْجِنَّةَ وَالنَّاسِ﴾ طباق.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ - الاستعاذة بصفات الله الثلاث: الربوبية، والملك، والألوهية، تحمي المستعبد من شرور الشيطان وأضراره في الدين والدنيا والآخرة.

٢ - الموسوس إما شيطان الجن، وإما شيطان الإنس، فتعوذ بالله من شياطين الإنس والجن.

٣ - أن الشيطان يشتد هروبه عند ذكر العبد لربه عز وجل، فإذا غفل العبد عاوده بالموسوسة.

الأسئلة

س ١: بيّن معاني ما يأتي: (بِرَبِّ النَّاسِ - مَلِكِ النَّاسِ - إِلَهِ النَّاسِ).

س ٢: لماذا لم يكتف بإظهار المضاف إليه مرة واحدة؟ وما المراد بالوسواس؟
ولم سُمّي بالمصدر؟

س ٣: ما الوسوسة؟ ولم سُمّي الشيطان خَنَّاسًا؟

س ٤: ما موقع قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ من الإعراب؟ وما الغرض من قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾؟

س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١) ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ (٢) ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾.

(ب) تكرار لفظ ﴿النَّاسِ﴾.

س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

قائمة الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣مقدمة
٤مقدمة في علوم القرآن مبادئ علوم القرآن
٥تعريفُ بالقرآن وبأسمائه ومقاصده
٧أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن
٩المكيّ والمدنيّ
١١نزول القرآن الكريم مُنَجَّمًا
١٤تفسير القرآن
١٧التفسير بالرأي
٢١أهداف الدراسة
٢٢سورة النبأ (مكية وهي أربعون آية)
٢٤مشاهد من يوم القيامة
٣١سورة النازعات (مكية وهي: ست وأربعون آية)
٤١سورة عبس (مكية وهي: اثنتان وأربعون آية)
٤٨سورة التكوير (مكية وهي: تسع وعشرون آية)
٥٥سورة الانفطار (مكية وهي: تسع عشرة آية)
٦٠سورة المطففين (مكيّة وهي: ست وثلاثون آية)

تابع قائمة الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٦٨	سورة الانشقاق (مكية وهي خمس وعشرون آية).....
٧٤	سورة البروج (مكيّة وهي اثنتان وعشرون آية).....
٨١	سورة الطّارق (مكيّة وهي سبع عشرة آية).....
٨٦	سورة الأعلى (مكيّة وهي تسع عشرة آية).....
٩٢	سورة الغاشية (مكيّة وهي ست وعشرون آية).....
٩٩	سورة الفجر (مكيّة وهي ثلاثون آية).....
١٠٦	سورة البلد (مكية وهي عشرون آية).....
١١١	سورة الشمس (مكية وهي خمس عشرة آية).....
١١٥	سورة الليل (مكية وهي إحدى وعشرون آية).....
١١٩	سورة الضحى (مكية وهي إحدى عشرة آية).....
١٢٣	سورة الشرح (مكية وهي ثمان آيات).....
١٢٦	سورة التين (مكية وهي ثمان آيات).....
١٣٠	سورة العلق (مكية وهي تسع عشرة آية).....
١٣٥	سورة القدر (مكية وقيل مدنية وهي خمس آيات).....
١٣٨	سورة البينة (مختلف فيها وهي ثمان آيات).....
١٤٢	سورة الزلزلة (مختلف فيها وهي ثمان آيات).....

تابع قائمة الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١٤٥	سورة العاديات (مختلف فيها وهي إحدى عشرة آية)
١٤٨	سورة القارعة (مكية وهي إحدى عشرة آية)
١٥١	سورة التكاثر (مكية وهي ثمان آيات)
١٥٤	سورة العصر (مختلف فيها وهي ثلاث آيات)
١٥٦	سورة الهمزة (مكية وهي تسع آيات)
١٥٩	سورة الفيل (مكية وهي خمس آيات)
١٦٢	سورة قريش (مكية وهي أربع آيات)
١٦٥	سورة الماعون (مختلف فيها وهي سبع آيات)
١٦٨	سورة الكوثر (مكية وهي ثلاث آيات)
١٧١	سورة الكافرون (مكية، وهي ست آيات)
١٧٣	سورة النصر (مدنية وهي ثلاث آيات)
١٧٦	سورة المسد (مكية وهي خمس آيات)
	سورة الإخلاص (أربع آيات مكية عند الجمهور، وقيل
١٧٩	مدنية عند أهل البصرة)
١٨٢	سورة الفلق (مختلف فيها وهي خمس آيات)
١٨٥	سورة الناس (مختلف فيها وهي ست آيات)